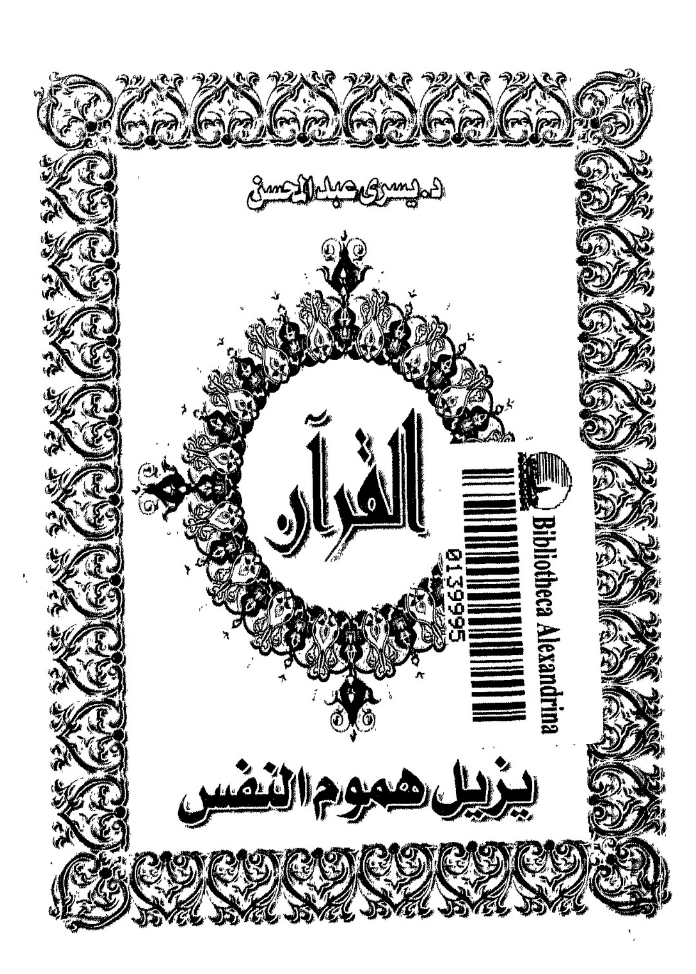

د. يسرى عبد المحسن
القرآن
يزيل هموم النفس
Bibliotheca Alexandrina
0139995

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

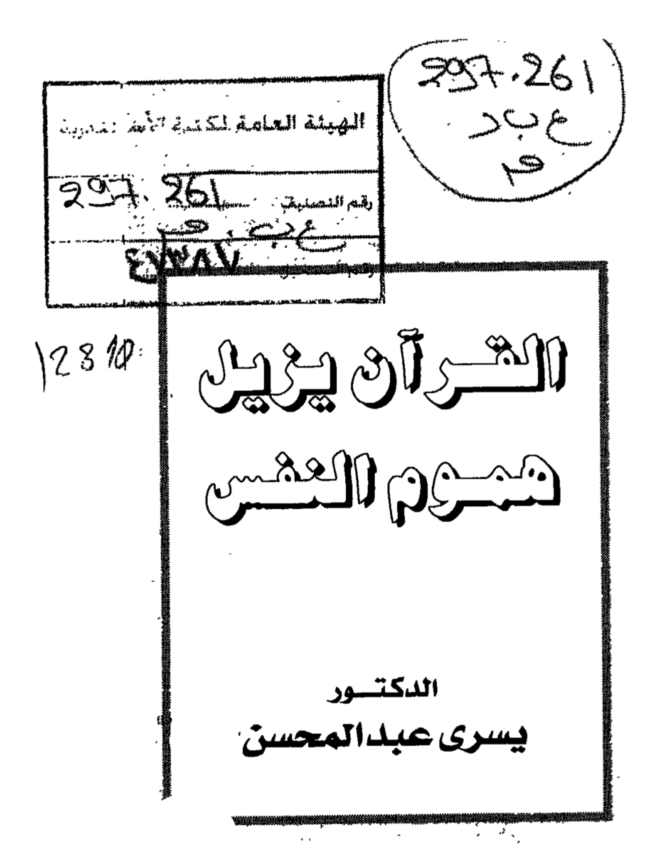
مطبوعات مايو

المدير العام :

علوى عامر

• دار مايو الوطنية للنشر •

١٦ شارع المنتزة - الزمالك - القاهرة
ت : ٣٤٠٩٩٠٠ / ٣٤٠٩٩٠٧ / ٣٤٠٩٩٠٩
ص . ب : ١٢٥ الجيزة Fax : 3409046



القرآن يزيل هموم النفس

الدكتور
يسرى عبد المحسن

المؤلف

- الدكتور يسرى عبد المحسن
أستاذ الطب النفسى والأعصاب بكلية الطب ـ جامعة القاهرة
- عضو الجمعية المصرية للطب النفسى والجمعية المصرية لأمراض الشيخوخة وعلوم الأعمار والجمعية المصرية للطفل والبيئة والجمعية المصرية للصحة النفسية .
- عضو الجمعية الأمريكية للطب النفسى .
- عضو الجمعية البريطانية للطب النفسى.
- عضو الجمعية العالمية لأمراض الشيخوخة.
- عضو الجمعية الكندية العالمية للطب النفسى .
- عضو الجمعية النفسية والعصبية لدول حوض البحر الأبيض المتوسط .
- عضو الجمعية العالمية للطب النفسى المتعلق بالبيئة .

- عضو محكمة القيم العليا سابقا .
- للمؤلف أبحاث متميزة فى مجال الطب النفسى والأعصاب تم نشر معظمها فى المجلات والدوريات العلمية المحلية والعالمية .
- للمؤلف جهد واسع فى نطاق التوعية والإعلام بالكتابة والمحاضرات والندوات فى مجال تخصصه .
- للمؤلف نشاط كبير فى الإشراف على رسائل الدكتوراه والماجستير لطلاب الدراسات العليا فى مجال الطب النفسى والأعصاب فضلا عن جهده المتميز فى التدريس والأنشطة التعليمية والتدريب العملى والعلاجى لطلاب الطب .

إهـــداء

إلى روح أبى الطاهرة
رجـل الأزهـر الشـريف

يجب أن نبدأ من جديد

إن شهر الصوم فرصة لإعادة العلاقات الاجتماعية إلى طبيعتها السليمة حيث تسود روح الجماعة بكل أبعادها ، التوحد فى مواعيد الإفطار والامتناع عن الطعام ، وتلاوة القرآن وإقامة الاحتفالات والليالى الدينية ، توحد أيضا أفراد الأسرة والتفاهم حول شىء وجدانى روحى واحد ، وهناك أيضا توحد المسلمين فى الإحساس بآلام ومعاناة الفقراء والميل الروحانى القوى إلى تخفيف هذه المعاناة عنهم والتواجد معهم ومعايشتهم ورفع روحهم المعنوية وإعادة الثقة إلى قلوبهم كل ذلك يظهر فى رمضان لأن الإنسان يكون مهيأ لمساعدة الآخرين وفعل الخير لأنه شهر عبادة وتقرب إلى الله.

فهـذا الشهـر الكريم يسقط بروحانـيته حـصون الأنانية العـالية ، وأبراج الغرور العاجيـة التى يعيش فيـها البـعض ناسيـا أو متناسـيا الآخريـن ، وتبدو صور التكافل الاجتماعى فى أبدع صورها فى الشهر الكريم عنـدمـا يفكر القـادرون فى أن هـناك بشــرا آخـرين يقـاسـمـونـهم الأرض والسـمـاء والهـواء ويحتاجون إلى الزكاة .

إن روح التكافل الاجتـماعى التى تسود المجـتمع الإسلامى فى تلك الفـترة لها أسـبابها الاجـتماعـية الموضوعيـة ، فهناك التنشئة الاجتمـاعية التى تربط الإنسان منذ طـفولته بنوع من العـادات الرمضـانية المتعـارف عليها مثل الزيارات ، ومساعـدة الفقراء ، وبعض السلوكيات الاجتماعية الإيجابية .

يوجـد عنصر آخـر يتعلق بالعـادات المتـوارثة ، فبلاشك أن الكثير من عاداتنا الاجتـماعية الرمضانية لهـا جـذورها وهى بالطبع ليـست وليـدة الأمس أو اليوم ولكنها انتقلت عبر الأجيال منذ نشأة الإسلام ، والإنسـان يحــرص على مـمــارســة هذه العـادات

والعلاقات بشكل تلقائى لاشعورى .

وهناك أيضا بعض العوامل تساعد وتدعم التقاليد والعادات الاجتماعية الإيجابية فى رمضان أهمها :

النظام اليومى لشهر رمضان الذى يعطى فرصة كبيرة للعلاقات الأسرية والاجتماعية ويوفر لها الوقت الكافى حيث تتقلص ساعات العمل ، وتزيد مساحة الفراغ على مدى اليوم .

الارتباط أيضا بمواعيد منتظمة فى الإفطار ، والسحور ، والإمساك عن الطعام ، كل هذا يكون فى النهاية خلفية واحدة متشابهة للمجتمع الإسلامى ويسهل من امكانية اللقاءات بين أفراده ، فهم مشغولون فى نفس الوقت وأيضا لديهم فراغ فى نفس الزمن .

الأهم من ذلك كله أن كل التعاليم الدينية تقرب بين الغنى والفقير ، يجد المسلم الفرصة خلال شهر رمضان لتأديتها بصورة تلقائية وسط المناخ الدينى الذى يسود خلال هذا الشهر الكريم ، وبالإضافة إلى الزكاة التى تضمن على الأقل الالتزام

بشكل من أشكال التكافل تنتشر أيضا موائد (الرحمن) التى يقيمها الأغنياء كنوع من التعبير عن الإحساس بمعاناة الفقراء والمحتاجين وطمعا فى الثواب .

وإذا كان رمضان فرصة «سنوية» تسمح للإنسان بأن يغير حياته للأفضل وأن ينظر إلى الآخرين قبل أن ينظر إلى نفسه ، وذاته فهو فرصة أيضا لالتقاط الأنفاس ومحاسبة النفس وتصحيح أخطائها .

والأهم من ذلك البعد عن المزاج والكيف ، فالصيام فرصة لا تعوض للتخلص من بعض العادات مثل التدخين ، والإفراط فى الشاى والقهوة ، وتعاطى المنبهات بصورة عامة لأن فترة الصيام هى فترة امتناع تؤهل الإنسان لكى يستعيد إرادته المفقودة ويشعر بأنه قادر على قهر العادات المرتبطة بالكيف والمزاج لأن الانقطاع عن المزاج خلال الفترة الأولى هو نصف الطريق نحو التخلص من العادة نهائيا ، وشهر رمضان فرصة لأن تمر

هذه الفترة بسلام نظرا للطاقة الروحية الكبيرة التى تعطى للإنسان دفعة وإرادة وقوة .

فإن الأسابيع الأولى دائما هى الأخطر عند الإقلاع عن أى عادة حتى لو كان الإنسان مريضا ومدمنا وبالتالى فالإنسان أمامه فرصة ٣٠ يوما شهر كامل ليتخلص فيه ببطء من أى شىء كذلك يشغلنا كأطباء نفسيين عملية إيجاد البديل عن العادة سواء ممارسة نشاط رياضى أو ثقافى ، وهنا نصادف حقيقة أخرى مهمة وهى أن الاستغراق فى الروحانيات هو أكثر البدائل تأثيرا ومن خلاله يستعيد الإنسان توازنه النفسى ونشاطه الإنسانى بصورة طبيعية دون حاجة إلى أى مكيفات .

إن جميع العادات المتعلقة بالمزاج ، هى عادات مرتبطة بمواعيد ، فى الصباح أو فى الظهيرة ، والامتناع عن تناول هذه « المكيفات » فى وقتها المحدد نتيجة الصيام يجعل من السهل على الإنسان بعد ذلك التخلص منها تماما مثل النوم فعندما يفوت ميعاد نوم الإنسان ، يطير النوم من عينيه ، لأنه

تعود على النوم فى هذا الوقت .

وإذا كان للصيام فوائد ، وإذا كـان شـهر رمضان أيضا بداية ، فهذا الشـهر فرصة للتحكم فى الأعصاب وضبط النفس ، والابتعاد عن العصبية .

إننى دائما أنـاقش داخل جلسات العلاج الـنفسى هذه النقطة ، وأؤكـد أن التوغل فى العبـادة ، وقراءة القرآن ، والحديث هو الوسيلة النفسـية الأكثر فاعلية للتحكم فى ضبط الأعصاب والثورة الداخلية .

ويعتبر شهر رمضان أيضا فرصة لتدريب الإرادة على التحكم فى الغرائز التى تبطـل الصيام ، ونجاح الإنسان خلال شـهر رمضان فى التحكم فى غرائزه ، يرفع من مـعنوياته ، ويقـوى من إرادته ، وبالتـالى يكون بداية للاستمرار .

الاتزان النفسى
مع شهر الصيام

التوازن الدائم بين قوى الإنسان الجسدية والروحية هو حالة من الصحة الإيجابية التى يتطلع لها كل فرد ويسعى نحو تحقيقها لكى تتوافق المعادلة الطبيعية بين كل ما هو ملموس وما هو معنوى غير محسوس ، ولقد شاء الله بعظمة حكمته أن يضع كل هذه النزعات والقوى والصراعات فى تكوين الكائن البشرى الذى هو من صنعه والذى هو قد كرمه وقومه فى أحسن تقويم وشاء العلى القدير أن ينير الطريق ويوضح معالم الخير والشر أمام خلقه أجمعين وأن يساوى بينهم فى فرص الاختيار لحياة كريمة عزيزة تعطيه من الخير ما يضمن له كل السعادة والسكينة والأمان وتقربه من غاية سامية رفيعة ألا وهى الغاية المنشودة نحو الخلود فى عالم النعيم .

وإذا كان شـهر القـرآن الكريم بما يـتميـز به من فريضـة الصوم يضـفى على الصحة الجـسمـية كل ألوان التـوازن الفسـيولوجى والقـوة الجسـميـة مع اتباع نظم الطعـام السليمة ، إذا كـان ذلك يحدث مع الصـوم فيمـا يتعلـق بماديات الجـسد وتركـيباتـها الفسـيولوجيـة المعقـدة ، فإن ما يحـدث مع الجانب المعنوى الروحانـى يكون أكثر نفعا وأشـد وقعا مع شـهر رمـضان حـيث الخـروج من عـالم التشـاحن والتنافس واللـهث وراء المـاديات الزائفـة إلى عـالم الشفافية والصـفاء والحس المرهف نحو هدف واحد وهو العبـادة الحقة والإخـلاص فى النية على طريق طاعة الله واتباع ما أمر به والبعد عما نهى عنه .

وما بـين تحقـيق سلامة الـجسد وطهـارة الروح يكون التـوازن النفـسى والتـوافق بين قـوى المـادة والقوى المعنوية داخل الإنسـان .

القرآن يزيل هموم النفس

مع القرآن فى شـهر القرآن تهدأ النفس وتستقر ويعـيش الفـرد فى حالة من الصـفـاء الروحى الذى تذوب معه كل هموم الدنيا ومتاعب الحياة ، وبتلاوة القرآن يخاطب العبـد ربه ويسبح فى ملكوت السماء وكأنـه يحلق فى عالم ربانى فـيه كل الصـدق وفيـه قول الحق بلا رياء ولا نفاق ، عالم ملائكى بعيدا عن ماديات الحياة وزخـرفها الزائل الزائف ، ومع تلاوة القرآن تنجـلى الحقيـقة أمام أعـيننا : ﴿ هدى للناس وبينات من الهدى والـفرقان ﴾ ومع القـرآن تتلاشـى شوائب الفكر وتخـتفى هواجس الشيطان ويستـقيم الوجدان وتهدأ العواطف المشـبعة بحب الله وتختفى زلفات اللسان فلا ينطـق الفرد إلا بما هو عذب طيب ولا يقول إلا بالحكمة والرأى الرشيد .

وتلاوة القرآن الكريم علاج لعيوب النطق والكلام

وتصحيح لأسلوب التفكير والتعبير ووقاية من الوساوس والأفكار الشاذة وترتيب للتفكير المنطقى المسترسل وكلمات الله عز وجل هى حصيلة زاخرة بالمعانى الجميلة والأساليب الراقية الثرية والمفاهيم ذات القيمة الرفيعة وكما قيل عنه : « إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه يعلو ولا يعلى عليه » .

وهى معين لا ينضب لكل عالم أو مفكر أو أديب ينهل منها الكثير والكثير ليكون بها فكرة أو معنى أو مفهوما : ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ﴾ صدق الله العظيم .

وتلاوة القرآن تسمو بالنفس إلى منزلة عالية وتطرد منها روح الشر وميول العدوان وترقى بها إلى مستوى الرحمة والمودة والحب الطاهر وتقوى الله عز وجل تتجلى فى تلاوة القرآن : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ ، ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ .

ففى القرآن الكريم مفتاح الفرج والخروج من

دائرة الهم والكرب والقلق ومع قصص الأنبـياء فى القـرآن الكريم تكـون العـبـرة والمـوعظة والأســوة الحسنــة فيقـتدى بهـا المسلم لتكون منهـجا قـويما لحياته ونبـراسا لطريقه نحو الأفضل مـما يحقق له العزة والكرامة .

إن الفرصة أكيدة لكى نفوز بتلاوة القرآن فى هذا الشـهـر الفضيل لكى تكتمل فـيه العبادة مع الـصيام والصـلاة فيعظـم الأجر وتتحـقق المـغفرة وتتـسع الرحمة من الله الذى وسع برحمته كل شىء .

الصحة النفسية في رمضـــــان

رمضان وروح الجماعة :

إلى جانب الفوائد الجسمية التى يحققها صيام رمضان فهناك كثير من المزايا التى تعود على النفس وتحقق مزيدا من الصحة النفسية والاتزان الوجدانى فى هذا الشهر الكريم .

ومن أهم إيجابيات شهر رمضان التلاحم الاجتماعى على المستوى الأسرى والعائلى وأيضا على المستوى الاجتماعى الأوسع نطاقا وذلك لأن كثرة اللقاءات والتزاور مع الاستعداد الكامل للتصالح ونبذ الخلافات والتغاضى عن الخصومات والتهيؤ الكامل للتسامح وضبط النفس كل ذلك يعزز الروابط الاجتماعية ويذيب الخلافات ويقضى على التباعد مما يؤكد الروح الاجتماعية السوية التى

تحقق سلامة الفرد الذى هو جزء من المجتمع الصغير والكبير .

وبالنسبة للأسرة فإن فرصة اللقاءات والتجمع تزداد مع هذا الشهر الكريم حيث الصلاة الجماعية بين أفراد الأسرة وجلسات تلاوة القرآن والتواجد فى اجتماع على المائدة أثناء تناول وجبتى الإفطار والسحور وأيضا التجمع حول الشاشة الصغيرة لمشاهدة البرامج الدينية والترفيهية التى اشتهر وتميز بها شهر رمضان ، وكل ذلك يقرب أكثر من أفراد الأسرة ويجمع بين الزوجين والأبناء روح المودة والمحبة والصفاء العائلى ويعطى فرصة أكثر لتقارب وجهات النظر ولبث روح الانتماء إلى الكيان الأسرى وأيضا يكون لهذه الاجتماعات فرصة لتعليم الأبناء أسس العبادة الصحيحة فى هذا الشهر الكريم وذلك عن طريق حكايات الرسل والأنبياء والصحابة والسلف الصالح وقصص عن أخلاقيات هذا الشهر الكريم وأهمية الإحساس بالفقير ومساعدته وكذلك أهمية اكتمال العبادة بتأدية الصلاة وتلاوة القرآن مع الصيام وأيضا إيتاء الزكاة .

إن الصحة النفسية تعتمد أول ما تعتمد على حب الجماعة والانتماء إليها وعلى مدى التكيف وسط الجماعة وكيفية الإحساس بالآخرين والتعامل معهم بروح الفريق الواحد سواء على المستوى الأسرى أو مستوى المجتمع الكبير .

إن روح الجماعة لابد وأن تؤكد فى شهر القرآن وأن يشعر بها أبناؤنا ويلمسوا مدى أهميتها لبناء شخصياتهم على أساس نفسى سليم وحتى لا تتملكهم الأنانية الذاتية ويكبروا على حب النفس وعدمِ القدرة على العطاء .

رمضـــــان والقدوة الحسنة

أهمية شهر رمضان الكريم هى أن يتطلع الأبناء إلى قدوتهم الطيبة الحسنة الممثلة فى الوالدين وأن يعدلوا سلوكهم فى اتجاه يتماشى مع حسن سير وسلوك الوالدين . ولذلك فإن فرصة تواجد الوالدين لفترات طويلة مع الأبناء مع اتباع كل تعاليم الدين الإسلامى الحنيف وأداء الفرائض ومناسك العبادة بصورة متكاملة والتعامل معهم على أساس من الأخلاق الحميدة والروح الكريمة الطيبة شىء هام جدا وعنصر أساسى فى أسلوب التربية النفسية القويمة .

يجب أن يتعلم الأبناء أن العبادة لا تتجزأ وأن تأدية تعاليم الدين لا تخضع للمساومة والتحديد وإنما القاعدة هى الإتمام والكمال خاصة فى شهر القرآن وذلك يتم عن طريق رؤيتهم الصادقة لطريقة تأدية العبادة بواسطة الوالدين وأن يكون هناك نوع من الحزم والضبط والرقابة على أسلوب

تنفيذ وتقليد كل ما يفعله الوالدان من صلاة وصيام وقراءة القرآن وإيتاء الزكاة إلى جانب المعاملة الحسنة والخلق الحميد .

وقد تحقق القدوة الحسنة آثارها الجيدة فى إصلاح حال الأبناء وتصحيح سلوكهم إلى الأفضل وكذلك فى خلق جسر من الحوار والتلاحم بينهم وبين أولياء أمورهم .

وفى هذا المجال نشير إلى أهمية التأكيد على كل فعل أو سلوك مرغوب فيه وشرح أهمية هذا السلوك وأبعاده الإيجابية للأبناء ولا نتركهم فى حالة من الغموض أو عدم الإدراك لما يقوم به الوالدان من أعمال هى فى صلبها من أوامر الإسلام ، وفى نفس الوقت لابد من مراعاة نبذ ورفض أى سلوك شاذ غير مرغوب فيه وشرح مضاره وسوء عواقبه ، ويساعد فى ذلك أيضا تأكيد الفعل السوى السليم بالجائزة المادية أو المعنوية ورفض الفعل الشاذ بالعقاب والحرمان ، لأن سياسة الثواب والعقاب هى من أسس التربية النفسية الصحيحة .

رمضـــان
وتهذيب الحواس

إن شهر الصوم الكريـم يهذب حاسة الإدراك عند الفـرد المـسلم عن طريق ضـبط السـمع والبـصـر وإمـساكـه عن المحـرمـات ، وتحويل هذه الحـواس الإدراكية بعيدا عن كل ما هو لغو أو فاسق والامتناع عن اتجاه الحس نحو الضرر والأذى .. وتحويله إلي كل مـا هو طيب كـريم ، فلا يـجوز الصـوم دون أن يغض المسلم بـصره عن المحـرمات ودون أن يمنع أذنيـه عن سمـاع اللغـو أو الكلام فى حق الغيـر أو السب أو النمـيـمـة .. إلخ .. ومـن هنا فـإن تنقـيـة الحواس المـدركة من كل الشوائب وترويضهـا نحو الخير والمنفـعة هو أحد الفوائد العظيمة لهـذا الشهر الكريم ويفـيد فى ذلك استـعمال هـذه الحواس التى هى من أكـبر نعم الخـالق على الإنسـان فى سمـاع القرآن الكريم وتلاوته وفى مـشاهدة قصص السلف

الصالح وذلك بالمسلسلات التى يكثر عرضها على الشاشة الصغيرة فى شهر رمضان .

إن الفرد السليم نفسيا هو الذى يطوع حواسه تبعا لإرادته ولا يجعل نفسه عبدا أو أسيرا لهذه الحواس ، والنفس أمارة بالسوء وقد تخون الفرد إرادته فى بعض الأحيان ولكن مع عملية التدريب المستمر يمكن له أن يتحكم فى غرائزه وأن تكون عملية التنقية والتهذيب للحواس هى عملية تلقائية لا تحتاج إلى جهود كبيرة وكل ذلك بعد التدريب الدائم فى شهر رمضان الكريم ، وإن الإرادة القوية مع الإدراك الحسى الواعى السليم والخاضع للمفاهيم الفكرية العقلانية تجعل من الفرد إنسانا مكتمل الشخصية سليم التكوين من الناحية النفسية .

رمضـــــان
والإرادة القوية

الإرادة هى أحد الجـوانب الرئيسـية للشـخصـية وهى المحرك الأساسى للنفس البـشرية وكذلك فهى المـحور الذى تدور حـوله كل مكونات الإنسـان من فكر وعقل ووجدان وسلوك وإدراك .

وإرادة قـوية مـعناها إنسـان ناجح فى حـيـاته مـسيطر على نزعـاته مـالك لكل تحركـاته ، وشـهـر رمضـان من أهم العـوامل التى تساعـد على تدريب الإرادة وإبراز مقوماتها وذلك ليس عن طريق التحكم فى النفس وضـبط الشـهـوات فحـسب بل عن طريق تطويع رغبات الإنسان نحو كل ما هو مفيد ونافع .

لكل إنسان إرادته التى قد تتصف بالضعف أحيانا وبالقوة أحـيانا أخرى وقـد تكون كامنة فى أعمـاقه لا يتمكن من إخراجـها إلى حيز العمل والتنفـيذ وقد

تكون ظاهرة متحركة ومحركة لكل نشاطاته فى حياته اليومية وتفاعلاته مع الآخرين .

إن الصيام بما فيه من امتناع عن الشراب والطعام هو أولى مراحل تدريب الإرادة وبعد ذلك نشير إلى الامتناع عن كل ما نهى عنه الدين الإسلامى وتجنب كل المعاصى والبعد عن كل الآثام مهما كانت المغريات ومهما كان إلحاح الشيطان نحو ارتكاب الذنوب وقد يفقد الإنسان إحساسه بفعل الإرادة من داخله ويتهم نفسه بالهوائية والتبعية نحو وساوس الشيطان ولكنه إذا أدرك عامل الإرادة وشعر بجمال ولذة السيطرة على نفسه وضبط غرائزه وتملكه لأفعاله كأنه بذلك يجد فى نفسه شعورا عظيما بالفرحة والسرور والثقة فى النفس والقدرة على مواجهة المواقف الصعبة مهما كانت درجتها فليكن شهر القرآن فرصة أكيدة لتطويع إرادتنا وترويض غريزتنا نحو فعل الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة .

رمضـــان
وضبط النفس

الحلم سيد الأخـلاق ، وضبط النفس معناه تجنب الغـضـب والتـقليل من ثـورة الفـرد عندمـــا تلم به الشدائد أو يتعرض للتيـارات المتصارعة من حوله . وإن الغضب يثـير القلق فى نفس الـفرد ويؤدى إلى الاهتـزاز النفسـى بمـا فيـه من مضـاعفات الـمرض النفـسى ، وضــبط النفـس ليس مـعناه الضـعف أو الاستــسلام وإنمـا هى صفــة القادر الذى يعـفو عن رضـا ورغبـة داخلية حـبا فى الســلام الذى هو من صفات المسلم الحق .

وضبط النفس يحقق التواصل الاجـتماعى ويؤكد حب الفرد للغير وحب الناس له .

وليس هناك أعظم من التـحكم فى الانفعـالات مع الصــوم دون كتم للغـيظ ولكن بالهـدوء والطمـأنينة

والسكينة التى تؤثر قلب المعتدى وتلين الحجر وتعطيه درسا فى أسلوب التعامل بالحب والود وليس بالثورة والأذى .

إن ضبط النفس من القوة والقوة من الإسلام وهى صفة حميدة تساعد على فض النزاعات والخصومات وإنهائها وهى فى مراحلها الأولية دون الاستمرار الذى يثير المضاعفات ويوصل العلاقات بين الأفراد إلى طريق مسدود حيث التنافر والبعد . وقد يجد الفرد صعوبة فى عملية ضبط النفس فى الأيام العادية ولكن مع أيام رمضان وتكملة لفريضة الصيام تكون العملية ميسرة وسهلة التنفيذ حتى تصبح صفة ملازمة للفرد وطبيعة من طبائعه تستمر معه ما بعد الشهر الكريم .

ثقافة الطفل في رمضـــان

شـهر الصيام يجب أن يكون فرصة لتنمية قدرات الأطفـال الفكرية والعـمل على إمـدادهم بمـعلومـات ثقـافيـة دينيـة على أن تكون مـحببـة إلى أنفسـهم ومتناسبة مع قدراتهم وأعمارهم ، إن فرصة التقارب الأسرى والاجـتماعـات العائلية الـتى تحدث مع هذا الشــهر الكريم ســواء كـانت فى أوقات تناول طعـام الإفطار والســحور أو فى أوقات الصــلاة أو الترفـيه ومشـاهدة البرامج الدينية على الشـاشة الصـغـيرة ، هذه الفـرصـــة يجب أن تستـغل فى تدعـيم الجـانب الثقافى لأطفالنا بواسطة قـص القصص الدينية إليهم والتى وردت فــى القـــرآن الـكريم أو ذكـــر بعض الأحاديث النبوية الشريفة التى فـيها عنصر التشويق والترغيب لديهم والتى يمكنها أن تثـير فكرهم وتثمر

عقـولهم وتدفعـهم إلى التساؤلات المـختلفـة . كذلك فـإن حث أولادنا وتشـجـيعـهم على حـفظ القـرآن وتلاوته كـشىء هـام ومكمل للعـبـادة ولـلصـيـام يساعدهم علـى تهذيب لغتهم العربيـة وعلى التدريب بالقراءة والنطق الصحيح .

ويجب ألا يقتصر الجهد على هذا الحد وإنما يمتد إلى اسـتـغـلال أوقـات الفـراغ فى تسليـة الأطفـال الصائمين ببـعض الألعاب التى تنمى عندهم القدرات الإبداعـيـة مثـل الرسم وتركـيب الألعـاب الدقيـقـة والمـشـاركة فـى تصليح أشـياء بسـيطة وأشـغـال الخياطة والتريكو بالنسبة للبنات .. إلخ .

فـهذه الألعـاب والمـمارسـات تخـفف عن الأبناء معـاناة الجوع وتسـاعـد على عدم الإحـسـاس بطول فترة الصيام وتفيد عقولهم بشىء من الثقافة .

وأثناء مشاهدة الـمسلسلات التليفزيونـية الدينية والتى تكثـر مع هذا الشهـر الكريم فيـجب أن يكون هناك بعض الشـرح المـبـسط للأبناء عن مـجـريات الأحداث وعن التـاريخ الإسلامى وياحبـذا لو أمددنا

أولادنا ببعض الكتب الدينية ونساعدهم على قراءتها خلال رمـضان مع التـشجـيع المتواصل بالـمكافآت المجزية .

ولا ننسى التوعية فى السلوكيات التى يمارسها الطفل حيث يجـوز تصحيح مفـاهيمه عن أخلاقـيات الدين الإسلامى وقواعد الـتعامل مع الآخرين وآداب الحديث واحترام الكبيـر والصدق والأمانة ومساعدة المحتاجين ، على أن يكون كل ذلك من منطلق التميم للعبادة واكتمال الصواب فى هذا الشهر حيث نشرح له أن الصوم وحده لا يكفى إلا إذا صاحبه كل سلوك قويم وإلا إذا كان معه احتـرام وتنفيذ لكل ما أمر به الله والبعد عن كل ما نهى عنه .

الصوم والعمل

أن تعمل وأنت صـائم خير وأنفـع لنفسك من أن تعمل وأنت ممتلىء الـبطن ، لأن العمل مع الإحساس بأنك تؤدى فـرائض العـبـادة يجـعلك فى حـالة من الاقـتناع الداخلى والرضـا التـام عن نفسـك والثقـة الكاملة فى إرادتـك الصلبـة وقـدراتك التى ليس لهـا حـدود كل هذه المـشاعـر تزيد من ارتقـاع حـالتك المعنوية وتبـعد عنك حالة اليـأس أو القلق أو الحزن التى قد تصيبك وبذلك فهى تـعطيك جرعة مكثفة من القوة النفسية والطاقـة الروحية التى تجعلك تستطيع مضاعفة مجهودك وتجميع همتك وعزيمتك .

إن جـسم الإنسان لديه من الـمدخـرات الحيـوية والغذائية الكثـير وفيه من المخزون مـا هو أكبر من التـصور والخـيال والقـوة الحقـيقـية له هى القـوة المعنوية التـى تجعله قادرا على تحـقيق المعـجزات وعلى الإنـجـاز الفعلى الذى يفـوق كل تصور ، وقـد

يكون كثرة الطعام من المعوقات عن العمل الجاد حيث الإحساس بالملل والكسل والوهن وسرعة التعب ، أما الصوم مع ما يصاحبه من إحساس بالقوة الروحية فهو خير دافع نحو مزيد من العمل الذى هو فى حد ذاته عبادة .

وإن أعظم الإنجازات البشرية فى صدر الإسلام حدثت فى شهر الصيام من أفراد آمنوا بربهم فزادهم الله إيمانا ، وشرح صدورهم نحو تحقيق الخير للبشرية جمعاء فتركوا بذلك بصماتهم على التاريخ الإسلامى وحققوا من المكاسب والفتوحات الإسلامية ما جعلهم من الصديقين والشهداء ورفعوا لواء الإسلام عاليا خفاقا مثبتين للعالم كله أن فرائض الدين الإسلامى الحنيف هى خير زاد للدنيا كما هى زاد للآخرة ونفع عظيم .

الصـــوم ..
وريجيم النفس

كمـا أن للصيـام فوائد فى الحـفاظ على الصـحة الجسـميـة بتنظيم مواعـيد ونظام الطعـام والحد من الإسـراف فى المأكـل والمشـرب والتـخلص من كل الزيادات فى الجـسم من الشـحوم والتـى تسـبب السمنة المفـرطة ، فإن له أهمية كبـيرة فى التخلص من شوائب النفس وعيـوبها والحد من الإسراف فى اتباع شهواتها والسعى وراء الملذات والانصياع إلى دوافع الغريزة الـتى قد تسلب المرء إرادتـه وتجعله أسيرا لها وعبدا لأوامرها .

إن النفس لأمـارة بالسـوء والإنـسـان له لحظات ضعف وسلبية وقد تـنزلق قدماه مرة أو مرات وراء إشـارات الشـيطـان وأوامـره ووراء نزعـات الشـر الكامنة فى أعـماقـه ، ولكن لا يجب أن يعيش الـفرد يتـعذب بـعذاب الضـمـير خـاصـة عندمـا تكون له صحوة ، والمفروض للتخلص من عذاب الضمير هو أن يجد الإنـسان لنفـسه مخـرجا للشـحنة المؤلـمة

الضـارة الكامنة داخله وأن يجد مـتنفسـا للرواسب الشـريرة القابعـة فى داخله ، كل هذه الرواسب هى بمثـابة الشحوم والدهنـيات المتـرسبة على الجـسد والتى ليس لهـا أى فـائدة سـوى الضرر بالـصحـة الجسدية المصحوبة بالسمنة وازدياد الوزن ، ونفس الشىء فإن الرواسب والشوائب النفسـية تحتاج إلى رياضـة روحية مـثلما يحـتاج الجـسم السمـين إلى رياضة بدنية .

وعلى ذلك فـإن ريجـيم النفس هو الـمـزيد من التقرب إلى الله سبحانه وتعالى مع مزيد من المناجاة والتوبة والاسـتغفـار حتى يتخـلص الإنسان من كل مـا هـو كـامن بداخلـه من شـرور مع الاعـتـراف بالأخطاء والمعاصى أمام الخـالق عز وجل والتنفيس عنها والمعاهدة على عدم العـودة إليها وبذلك تصفو النفس ويسودها الهـدوء والطمأنينة والسكينة ، وإن شهـر القرآن هو القـرصة العظيـمة لاتبـاع مثل هذه الرياضة الروحانية ولمزيد من تلاوة القرآن والخلوة الروحـية مع الصـدق فى أداء العبـادة والمحـاولات المستمـرة فى أن يلفظ الإنسان عن كاهله كل ما هو ضار وكل ما يسىء إلى صحته الجسمية والنفسية معا.

الصــوم..
والتوتر العصبى

إن الامـتناع عن الطعـام قـد يـؤثر على الجـهـاز العـصـبى والمخ تأثيـرا مـؤقتـا ببـعض الأعـراض البسيطة مـثل عدم القدرة على التركيـز لفترة طويلة والإحساس بالخمول والهـبوط عند بعض الأشخاص وكذلك صـعوبة تذكـر بعض الأحداث أو استـرجاع الأفكار المخـزونة فى العقل وقـد يكون هناك بعض الإحـساس بـالصداع .. وتنـميل الأطراف وأحـيـانا الدوخة والغثيان .

وكل هذه الشكوى سرعـان ما تتلاشى تدريجـيا بعـد وجبـة الإفطار وبعـد اسـتعـادة المخ لنشـاطه وحيـويته عندما يرتفـع مستـوى الجلوكوز فى الدم حـيث يتغـذى المخ والخلايـا العصـبيـة به لأنه هو العنصر الحيوى لغذائه وقوته .

أما عن حـالات التوتر العـصبى وتكرار الـغضب المصحوب بالثـورة والحركة الزائدة والتى قد تصل أحيانا إلى درجـة الهياج ، هذه الحالة قـد تحدث عند بعض الصائمين وقد يفسـر سببها بالجوع والعطش

والحقيقة غير ذلك لأن الصائم عادة ما يكون فى حالة من الهدوء والميل إلى عدم الثورة وقلة النشاط الحركى وعدم الانفعال الشديد أما سبب هذه الظاهرة والتى تحدث غالبا عند الأفراد الذين ارتبطت أجهزتهم الحيوية ببعض العادات الضارة مثل الإفراط فى الشاى والقهوة أو التدخين أو تعاطى بعض الأقراص المهدئة ، أو حتى إدمان العقاقير السامة هذا الارتباط والتعود والادمان هو الذى يجعلهم يشعرون بالثورة العصبية والتوتر الحركى والانفعال المصحوب بالغضب والهياج أحيانا وذلك نتيجة إقناعهم بعدم تعاطى ما تعودوا عليه ، وحكمة الصيام فى هذا الشهر الكريم هى فى تحريك إرادة هؤلاء المتعودين والمدمنين وفى فرض سيطرتهم على عاداتهم الشاذة والمدمرة لأجسامهم وعقولهم وفى أن يكونوا على درجة من القوة الذاتية لكى لا يعيشوا أسرى وعبيدا لمثل هذه العادات مستقبلا بعد انتهاء شهر رمضان إن الصوم يعتبر بمثابة العلاج المضمون للتخلص من أمراض التعود والإدمان دون اللجوء إلى العلاج الطبى الدوائى ودون الوصول إلى درجات سيئة تفتك بالإنسان المسلم .

حساب النفس
مـع الصـيـام

المسلم هو من سلم الناس من لسانه ويده ، وهو يحاسب نفسه أولا بأول على فعل يكون فيه أدنى شك نحو غضب الله والعياذ بالله وأن يستفتى قلبه إذا تعذر عليه الصواب فى الحكم والحساب : « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » .

والمسلم الحق هو من يتعامل مع ضميره بالنية الخالصة لوجه الله تعالى وهو الذى يجعل من نفسه رقيبا على نفسه فينظر إلى أخطائه بنظرة موضوعية ويكاشف نفسه بالعيوب ثم يتوب ويتراجع ويصحح المسار نحو حياة أكثر طهرا وأشد نقاء وصفوا ، كل بنى آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون والله سبحانه وتعالى وسع برحمته كل شىء وهو أشد برحمته على العبد من نفسه ، ولكن المسلم الذى يغمى عينيه ويسد أذنيه عن معاصيه ويعيش الوهم

والزيف والتصور الخاطىء بأنه على الصواب بصفة مستمرة معناه عدم النضج النفسى والإصرار على التمادى فى ارتكاب المعاصى والاستمرار فى فعل الخطأ وهنا يحل عليه غضب الله ويزداد فى التعامى وتتفتح أمامه الكثير من طرق ومنافذ المزيد من المعصية فيتخبط فى مجاهل الفساد والإثم ليصل إلى طريق مسدود ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن شهر القرآن الكريم هو شهر البركات وشهر اقتناص الفرص والمزيد من التوبة بعد حساب النفس والوصول إلى حالة الطهر والنقاء ، وهو شهر اليقظة فى ضمير كل مسلم فلا سكوت على معصية ولا غفلة عن ذنب فليكن كل مسلم أدرى بواجبه فى مصارحة نفسه وليبدأ فى تخليصها من الذنوب وليكشف عن عينيه قناع الزيف والرياء والنفاق لأن الصدق مع النفس هو الصدق مع الله وعلى الله قصد السبيل .

الصيام علاج وتعديل للسلوك الإنسانى

إن الفوائد الصحية التى يمكن أن يحققها الصوم فى شهر القرآن وشهر العبادة والتقرب إلى الخالق عز وجل ، كبيرة وعظيمة ومتنوعة على المستوى الجماعى والفردى وأيضا على المستوى الجسدى والنفسى والروحانى وعلى كل فرد يريد أن يكتسب عادات سلوكية سوية تجعل من شخصيته إنسانا جديدا يتمتع بكامل مقومات الصحة والسعادة النفسية أن ينتهز فرصة هذا الشهر المبارك فى علاج وتعديل سلوكه لكى تكون بداية نحو حياة أفضل وأكرم .. لمزيد من الرضا الإلهى والطمأنينة الذاتية .

فقد يكون الصوم فرصة للمشاركة الأسرية الجماعية والالتقاء بين أفراد المجتمع العائلى الصغير وزيادة فى التقارب والتفاهم بين الوالدين والأبناء وذلك من خلال التجمع فى مواعيد الإفطار

والسحـور وتأدية فرائض الصـلاة .. الجماعـية مع انتهـاز هذه الفرصـة للتوعـية والإرشـاد والتوجـيه وتصـفـيـة كل رواسـب الخـلافـات إن وجـدت مع المحاولات المستمـرة من جانب الآباء والأمهات نحو توحـيـد الفـكـر وتجـميـعـه حـول مـفـهـوم الدين الإسـلامى وشـرح أبـعـاده الإنسـانيـة النـبـيلة مع التدريب على تنفيـذ مبادئه السامية كالـطاعة والعفو والصـدق والأمـانة والإخـلاص فى العـمل وحب الآخرين ومـساعـدة المحتـاجين والإحساس بآلام الغير .. إلخ .

كذلك فإن الفـرصة العظيمة التى يحققـها الصوم لبث روح المـحبـة والإخوة بين أفـراد الأسرة ونبـذ الخلافـات من منطلق إسلامى يجب أن تسـتغل وأن تتأصل فى عقول ووجدان الأبناء والآباء .

ولا ننسى القدوة الحـسنة للأسرة والمتـمثلة فى الوالدين ، فلا يجوز أن توجد أى خلافات بينهما وأن يشـعروا أولادهم بوجـود التراحم والمـودة بينهمـا والتـغاضى عن كل الشـوائب والعلاقـات السلوكيـة الشاذة .

وعلى المسـتوى الفردى فإن تعـديل السلوك يبدأ بتقـوية الإرادة الفردية حـيث إنها مـحور التـماسك والصحـة النفسيـة وهى الدينامو المحـرك لكل قوى النفس البشـرية وكل مكونات الشخـصية السليـمة ، وإن اختـيار هذه الإرادة وتدريبها يحـدث فى القدرة على تحـمل الآلام والمعـاناة اليومـية والصبـر على المكروه والبعد عن المعـاصى وفرض السيطرة على الغرائز الـشاذة والمدمـرة مثلهـا مثل تحـمل الجوع والعطش ، وبذلك يكون شهـر رمضان فرصـة أكيدة لعلاج بعـض أمراض الانحراف الأخـلاقى والجنوح فى السلوك الإنسانى .

الصوم
وروح الجماعة

إن عقيدة الإسلام تقوم على وحدة الرأى والهدف والمصير ولا خير فيمن عاش لنفسه فقد دعت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة إلى الاتحاد قلبا وقالبا بين المؤمنين ليكونوا كالبنيان المرصوص أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، إن تقوية الإحساس بروح الجماعة والمشاركة الجماعية هى من أهم دعائم الإسلام وأسسه فى مواجهة عوامل الشرك وطغيان من لا يؤمنون بأن لا إله إلا الله موحد الصفوف ومجمع القلوب على الخير والحب والمودة والألفة : ﴿ لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾ .

إن يد الله مع الجماعة وجمال الصوم وحكمته فى

شهر القرآن الكريم هو فى تأصيل مفهوم المشاركة الجماعية بالالتزام فى ممارسة العبادات بشكل موحد وفى توقيت موحد ولا أدل على ذلك أكثر من الإمساك عن الطعام والشراب وفعل المحرمات والمعاصى لدى كل المسلمين وفى مواعيد ثابتة ، ثم تأتى حكمة التجمع حول الصلاة وتلاوة القرآن الكريم فى شهر القرآن الذى تفتح فيه أبواب الجنة للرحمة فى أوله والمغفرة فى وسطه والعتق من النار مع نهايته ، وكثيرا ما تتجلى مظاهر الجماعة داخل الأسرة والمجتمع الصغير على موائد الرحمن فى سحور وإفطار على التفقه فى أمور الدين حول قصص الرسل وحكايات السيرة النبوية العطرة وتاريخ الإسلام والسلف الصالح وذلك من خلال وسائل الاعلام المرئية والمقروءة والمسموعة .

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نتدبر حكمة التقاء المشاعر ووحدة الوجدان بالإحساس بالغير وتبادل الرحمة عندما تخرج الزكاة لتعبر عن تضامن القادرين لمساعدة المحتاجين كإخوة لهم فى دين الإسلام الحنيف .

فلتكن لنا فى سلفنا الصالح أسوة حسنة لما كانوا عليه من رحمة ومودة وحب وإخاء بينهم : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ مما جعلهم ينفذون بعقيدة الإسلام السمحة إلى قلوب ونفوس المشركين .

إن روح الجماعة التى هى من صميم الإسلام تجعل النفوس فى حالة من الطمأنينة والسكينة والشعور بالأمن والأمان وتجنبها أى شعور بالخوف أو الوحدة وتبعدها عن طريق الضياع من خلال الذاتية والأنانية التى قد تصل بها إلى درجة الانعزال ثم التمزق النفسى .

ولتستمر روح شهر الصوم إلى ما بعده فهى فرصة نعزز فيها إسلامنا بالوحدة وغرس روح الجماعة فى أنفسنا إلى درجة التلاحم القوى الذى يرفع من شأننا ويعلى من كلمة الحق التى هى كلمة الخالق جل علاه .

رمضان شهر العزائم والهمم

الإسلام لا يعرف التكاسل والتواكل فهو دين الجد والعمل ودين السعي الدؤوب وراء الرزق والأخذ بأسباب الحياة نحو التقدم والرخاء ، وهو دين الكفاح سعيا وراء إعلاء كلمة الحق الذى يعلو ولا يعلى عليه .

والإسلام هو دين القوة والعزة والشموخ بإباء وشمم وهو دين الاعتزاز بكلمة الله التى تحكم كل أمور الحياة بيسر وسهولة نحو رفعة الإنسان ونحو كرامته فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وعلى كل مسلم أن يحرص على ما ينفعه ويبتعد عن كل ما يؤذيه ويقلل من شأنه ليكون دائما مرفوع الرأس عالى الجبين ، وشهر القرآن هو شهر الفتوحات الإسلامية العظيمة التي خلدها التاريخ وخلد معها الصديقين والشهداء والأبرار ، وقوة الإسلام فى اتحادهم وتآزرهم

وإعلائـهم لكلمة الله هم خـير مـثل على أن يد الله مع الجماعة وأن القوة فى الـوحدة والضعف من أسباب الفرقة والتشتت .

وقوة المسلمين فى وقوفهم كالبنيان المرصوص أمام أعداء الله وفي تراحـمهم فيما بينهم : ﴿ مـحمد رسـول الله والذين معـه أشـداء على الكفـار رحمـاء بينهم﴾ وما أحـوجنا فى هذا الشـهر المـبارك إلى أن تتـحد قلوبنا ونفـوسنا وتتـفق مشـاعرنا ويتـلاحم فكرنا نحـو هدف واحـد وهو إعـلاء كلمـة الإسـلام ودين الحق وأن نتخلص من شوائب أنفـسنا الفاسدة التى قد تحـجب الرؤية الصادقة عن أعـيننا وتدفعنا إلى التدحرج نحو القاع ونفـقد مكانتنا المرموقة بين الأمم .

وليست الإرادة فى هذا الشهر الكريم بالتحكم فى الغـرائز والشهـوات فحـسب بل وأيضا فى تحـريك قوتنا نحو إيجابيـة الحياة بحركة سريعة نثـبت فيها أنفسنا ونسير على طريق الهدى والرشاد .

الإسـلام هو دين العمل الـجاد وهو دين السـعى وراء الرزق والأخذ بـالأسباب فى الـحياة للـوصول إلى أسمى درجات النهضة والرخاء ، ولا يتحقق ذلك

إلا بإعــلاء قيـمة العلم وأهــميــة البحث عن جـوانب الحقيقـة والمعرفة وإذا كانت الأمة الإســلامية تعيش حالة من التــخلف والانحدار الحضارى فـذلك بسبب افتقار المـسلمين إلى استشعار أهمـية العمل المبنى على أسس العلم الحديث والله عز وجل هو الذى يهب العلم لمن يشاء : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ ولابد أن يشعـر المسلم بحــاجته الدائمــة إلى المزيد من العلم الذى يجـعله قادرا على تطبـيقه فــى العمل لكى يصــل إلى أرقى درجــات الإتقــان والجـــودة : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

إن سلامة العقل ترتبط بالقدرة على التعليم وتعديل السلوك بناء على اكتساب المهارات الجديدة وإتقانها ، وســلامة العـقل أيضا يرتبـط بترتيب الفكر وجـودته وتسخيره نحو التطبيق العملى فى الأداء والإنتاج .

والعمل الصالح هو الذى كلف الله سبحانه وتعالى به المؤمنين وحذر من عــدم الالتزام به مع التواصى بالحق والصبـر : ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خــسر إلا الذين آمنوا وعـملوا الصــالحات وتواصــوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

والإيمــان هو ماوقــر فى القلب وصــدقه العــمل ،

وهذا يعنى أن التطبيق العملى هام جدا لكى يتم إعلان النية الخالصة والصادقة لوجه الله تعالى ودين الإسلام هو دين معاملات وتعاملات وأفعال وليس دين طقوس وشكليات ومظاهر .

وشهر الصوم الكريم هو شهر العزيمة والإرادة الصلبة التى تعلن عن سيطرة الفرد على جوارحه وتحكمه فى نزواته وغرائزه وأن يكون المسلم مالكا لإرادته فهذا يعنى أنه سيد أحاسيسه وسيد تحركاته وسعيه فى الحياة ولا يجوز بأى حال من الأحوال أن يكون شهر الصوم هو شهر التكاسل والتباطؤ والتواكل ، وقد كان لنا فى السلف الصالح أسوة حسنة فى حجم الإنجاز وخوض الفتوحات الإسلامية والإتقان فى العمل فى هذا الشهر الكريم.

إن النهضة الإسلامية الحقة لن تأتى إلا بالعمل المخلص ابتغاء مرضاة الله وعلى أسس علمية حضارية متواكبة مع مقتضيات العصر ومتابعة دائمة لكل ما يدور حولنا من أساليب التطور والحضارة وقوة المسلم بقوة عقله وجسده فى دفع عجلة التقدم إلى الإمام حتى تتبوأ الأمة الإسلامية مكانتها بين العالمين .

الصـــوم ..
والمريض النفسى

شهر رمضان المبارك .. عبادة .. وصحة .. فكثير من المرضى تتحسن حالاتهم مع صوم رمضان ، إن شهر رمضان شهر الصوم يعتبر فرصة أكيدة يستطيع أن يستفيد منها الطبيب النفسى ، فكما أن هناك جوانب متعددة لعلاج الكثير من أمراض الجهاز الهضمى ، وبقية الأمراض الأخرى ، كأمراض القلب والرئتين والكليتين .

فإن أمراض الجهاز النفسى كمرض القلق والمخاوف النفسية يمكن أن تخف حدتها مع معايشة المريض للجو الروحى ، واندماجه فى العبادة والانتظام على الصلاة ، وتلاوة القرآن الكريم كل ذلك يساعد على الاطمئنان ، ويدخل على نفسه الهدوء ، وكذلك بالنسبة لأمراض الوساوس القهرية مع الصوم وتحمل الجوع والعطش بالصبر والإيمان ومرض الاكتئاب ، فإن الانشغال بالعمل الجاد يساعد على التخلص من الأفكار الشاذة والغريبة على المريض ، وكذلك الأفكار السيئة

وكـذلك فـإن الإحسـاس بالغـيـر ومعـايشـة المناخ الاجتـماعى الدافىء عن طريق الزيارات والتجمـعات الرمضانية تساعد المـريض على أن يشعر بالثقة فى نفسه وفى الآخرين كنوع من العلاج الاجتماعى .

أما فى الحالات العقلية كمرض الفصام والاكتئاب العقلى فـإن الصيـام يقوى الإرادة ويخـرج الطاقات الإيجابية ويجعلها فى حيـز التنفيذ الفعلى وربما يبدأ المريض فى الاستبصار بحالته المرضية ويعمل على التعايش مع الآخرين بعد أن يكون قـد اكتسب حبهم وثقتهم فيه .

وانتظام المـريض على الصيـام ، وأداء بقـيـة الفرائض ، ودخـوله فى هذا الجو الروحى وشـعوره أنه يشارك الجميع فى تنفـيذ تعاليم الدين يجعله فى حالة من التواصل الاجـتماعى والجمـاعى الذى يفيد حالته العقلية إلى حد كبير .

وأخيرا فإن شهر الصـوم بما له من فوائد عظيمة على الحالة النفسية للمريض ويضيف عوامل إيجابية فى خط سير العلاج فإنه لا يمكن أن يكون بديلا عن أخـذ العلاج الكيـمـيائى والعـلاج النفـسى بالأدوية والجلسات النفسية .

رمضان
والعلاج النفسى

قد تكون فرصة شهر الصيام من أعظم فرص العلاج النفسى الذاتى لبعض الاضطرابات النفسية التى تؤثر على جوانب الشخصية قبل التفكير والسلوك والحالة الوجدانية والإرادة والإدراك الحسى .

فمع الصوم والتحكم فى النفس وضبطها بالامتناع عن الطعام والشراب والمحرمات الأخرى يمكن تدريب الإرادة وتحريكها وتطويعها نحو الخير وتبعا لما يراه الفرد المسلم مطابقا لتعاليم السماء ، ومع تلاوة القرآن الكريم فى شهر القرآن .. يمكن أن يصلح الفرد من عيوب النطق ويصحح مخارج الحروف ويقضى على مشكلة التلعثم واضطرابات الكلام والحديث ، ومع تنقية الحس الوجدانى وتحريك المشاعر نحو الشعور بحاجة الغير من

المحتاجين والفقراء تمكن للفرد أن ينمى داخله حاسة العطف والود وحب الخير والعمل على مشاركة الآخرين ومساعدتهم والحزن لآلامهم والفرح لأفراحهم وهنا يمكنه أن يدرب جوارحه على التفاعل دون اللامبالاة والتبلد فى المشاعر .

ومع صيام رمضان يعدل الفرد من سلوكه المعوج ويبتعد عن المعاصى ويسلك الطريق القويم نحو حماية نفسه من الذلات والمعاصى ويتعود فعل الصواب فى كل تحركاته .

ومع الصوم وتلاوة القرآن وقراءة السيرة النبوية الشريفة وقصص السلف الصالح يمكن للفرد أن يكتسب المفاهيم الفكرية السليمة وينظم عقله فى حكمه على الأمور ويكتسب القدرة على التفكير العقلانى الصحيح .

الصـــوم
عـلاج للادمـان

الصـيام راحـة للجـسم من الأمـراض فى تناول الطعــام وراحـــة للنفس مـن الانزلاق وراء الأهواء والسير فى طريق الغواية والشر ، والصـوم أيضـا هو سـمو بالروح إلـى عالم الطهـارة والخـيـر ، فيـجب الاســتفـادة من شـهـر رمضــان المعظم فى تحـرير النفس وخلاصـها من كل ما هو مـفسد ومدمـر لها مثل العادات السيئة كالتدخين والإفراط فى استعمال المنبهات العصبية كالشاى والقهوة .. إلخ .

أما بالنسـبة لحـالات الإدمان بأنواعهـا المخـتلفة سـواء كانت علـى الأقراص المـهـدئة أو المنشطة أو على المخدرات كالحشيش والأفيون أو على الهيروين والكوكايين فـإن شـهر الصوم قـد يساعد كثـيرا فى علاج مـثل هذه الحالات وخصـوصـا التى ظهر فيـها الإدمان منذ فـترة قـصيـرة ، لأن الصـوم مع الإرادة القـوية يحقق عـدم التعـرض للتعـاطى لهذه المـواد طوال فترة النهار وحتى المـغرب ثم يستطيع المدمن أن يتـغلب على الـحنين أو احـتـمـالات الحـاجـة إلى

التعاطى للمادة التى ادمن عليها فى فترة المساء عن طريق ممارسة أنشطة العبادة كالصلاة وتلاوة القرآن وسماع الأحاديث والدروس الدينية فى الجامع ولا يترك نفسه عرضة للالتقاء مع صحبة السوء أو للتواجد فى أماكن الحصول على المواد المخدرة.

إن الاعتكاف فى الجامع مع الانشغال المستمر بالممارسات الدينية المختلفة يجعل المدمن فى حالة من الطمأنينة والراحة النفسية مع الإحساس بالأمان والهدوء الداخلى الذى قد يبعد عنه الإحساس بالحنين والحاجة إلى اللجوء لهذه السموم ، وإذا لزم الأمر فقد يستطيع المدمن أن ينتظم على العلاج النفسى جنبا إلى جنب مع استغلال صومه وتردده على المسجد فى التخلص من عاداته السيئة ، وهنا يمكن القول بأن الجامع يكون بمثابة المصحة النفسية فى العزل الجزئى للمدمن من خلال فترة المساء أما فى فترة النهار فإن الصوم وحده كفيل بضمان حسن سير العلاج والامتناع عن تعاطى المواد المدمنة .

هل يمكن أن يقوم الجامع مقام المصحة النفسية فى تخلص الفرد المسلم من سلوكه وعاداته الشاذة خصوصا التعود أو الادمان على العقاقير والسموم

التى تضر بصحته الجسمية والنفسية حتى تكاد تصل به إلى حد الهلاك والدمار ؟

إن فرصة الاعتكاف فى الجامع بقصد العبادة والتزود بالتقوى خاصة فى الأيام الأخيرة من رمضان ، هذه الفرصة يجب أن تستغل أيضا فى تهذيب النفس وتعديل السلوك وتأصيل العادات القويمة والتخلص من كل ما يؤذى الإنسان والفكرة المطروحة هى :

(أ) علاج الأفراد الذين اعتادوا على عادات التدخين أو الإكثار من المهدئات أو المنشطات أو الذين أدمنوا المخدرات أو العقاقير المهلوسة أو المواد السامة كالحشيش أو الأفيون أو الهيروين أو الخمور .. إلخ .

وأسس هذا العلاج هى :

١ ـ إرادة ذاتية نابعة من الفرد نفسه وقوية مع استعداد تام للتعاون على السير فى طريق العلاج والتعاون التام فى تنفيذ التعليمات .

٢ ـ اعتكاف تام بالجامع مع بداية أذان المغرب وحتى الانتهاء من صلاة الفجر .

٣ ـ ممارسة كافة الأنشطة الدينية وممارسة العبادات المختلفة من صلاة وتلاوة القرآن وسماع الأحاديث .. إلخ .

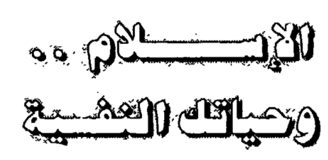
٤ ـ تناول العلاج بالعقـاقير فى مواعـيد منتظمة داخل الجامع .
٥ ـ العمل المنتظم المستمر أثناء النهار فى موقع العمل لكل فرد دون انقطاع .
٦ ـ الصوم كشرط أساسى .
(ب) وبالنسـبة للنظام العلاجـى بالعقاقـير فـيتم بوصف الدواء بعد الفحص النـفسى والطبى وتقرير الحالة وذلك سيكون مجانا .
(جـ) المتابعة العلاجيـة وبحث نتائج العلاج سيكون بعد نهاية فترة الاعتكاف فى نهاية شـهر رمضـان.
(د) مدة العــلاج يجب ألا تقل عن عـشرة أيام ، اعتكافا متواصلا من المغرب إلى الفجر .
وفوائد هـذه الطريقـة العلاجية تكون على أســاس:
١ ـ تحـريك الطاقـة والإرادة الكـامنة لدى الفــرد المسلم إلى حيز التنفيذ الفعلى للسيطرة على غرائزه ونزواته وعاداته السيئة .
٢ ـ اشتـراك العامل الروحانى إلى جـانب العامل المادى فى العلاج النفسى حيث صفاء النفس والقلب والتطهـيــر من كل مــا يسىء إلى الجــسم والعـقل ومعـاهدة الخالق عـز وجل على تحرير الإنـسان من وساوس وقهر الشيطان وسيطرته عليها .

٣ ـ ممارسة العادات كالصلاة وتلاوة القرآن داخل الجامع يكون بمثابة الرياضة الروحية والجسدية أيضا والتى تعمل على تأهيل المريض وتشارك فى إعلاء طاقاته الكامنة وتحويلها إلى طاقات هادئة سامية ونافعة بدلا من أن تكون طاقات مدمرة وهادمة ومؤذية لها .

٤ ـ مناجاة الله سبحانه وتعالى داخل الجامع تكون بمثابة العلاج النفسى الروحانى حيث يتلقى الفرد تعاليم السماء من قرآن وأحاديث دينية وغيرها وهذا كله يعتبر بديلا عن الجلسة النفسية العلاجية.

٥ ـ الاعتكاف بالجامع يكون بمثابة العزل الإجبارى للمريض والذى يمنع أى احتمال لتعاطيه العقاقير التى تعود عليها أو أدمنها فى الفترة من المغرب إلى الفجر حيث لا يجوز إطلاقا مغادرة الجامع بأى حال من الأحوال ويمكنه تناول وجبة الإفطار والسحور داخل الجامع أيضا .

٦ ـ العمل أثناء الصيام بالنهار هام وضرورى مع الصوم طبعا وذلك لكى لا تكون هناك أى فرصة لمجرد التفكير فى العادات السيئة أو أى محاولة للإقدام عليها .


الإسلام ..
وحياتك النفسية

النفس البشرية
في الإســـلام

اهتم الدين الإسـلامى بالنفـس البشـرية فـحـدد معـالمها ووضع الضـوابط لها وعـمل على تزكيتـها وتهذيـبها لكى تسـمو بصـاحبـها إلى مراتـب العزة والكرامة والصـحة والاتزان وقـد أدرك الإنسان منذ القدم أنه يملك شيـئا إضافيا يعطيه صـفات.. تتعدى حدود جسـده المادى وأحاسيسـه الملموسة وأدرك أن هناك قوى داخـلية تنطلق منه لكى تعـبر حـواجز الزمان والـمكان، وأن هناك نشاطا عـقليا ووجـدانيا يسيطر على كيـانه فى نومه ويقظته، وهذا الشـىء له من النفوذ والتأثيـر ما يفوق العالم المـادى والجسد الذى يتحرك تبعا لقوانين الطبيعة والمادة.

وقد ذكر فى القرآن الكريم الكثير عن النفس فقال الله تعـالى: ﴿ونفس وما سـواها فألهـمهـا فجـورها وتقواها﴾ وهذا الوصف يعكس مكونات وبنية النفس حيث تكمن الغـرائز بما تتطلبـه من المتعـة والسعى وراء الملذات إلى جـوار الضـميـر الذى يحكمـه من

الأخلاقيات والتمسك بالآداب والمثل العليا والقيم الحميدة الرشيدة، فهنا نجد الفجور والتقوى معا داخل النفس البشرية وهناك صراع دائم يدور بينهما واصطدام فى كل وقت وحين، وعلى الإنسان أن يجاهد نفسه ويقومها ويطغي على غرائزه ويطوعها إلى الخير ويسمو بها إلى مراتب الصحة والعفاف وعليه أيضا أن يعلو بهذه الغرائز إلى تحويرها لأنشطة وهوايات مقبولة اجتماعيا ومفيدة له ولغيره فهذا هو الموقف الحق الذى يحظى برضا الخالق عز وجل حيث قال: ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾.

وهناك ذكر الحق تبارك وتعالى عن النفس اللوامة: ﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ مما يوضح النفوس التى تدفع بأصحابها إلى السوء والشر وتسوقهم إلى براثن الرذيلة والدمار.

ويؤكد الإسلام أهمية النفس ومسئوليتها العظيمة وأنها هى شعار الإنسان ورمز لشخصيته وهويته الذاتية وأن هذه النفس هى التى تعود إلى خالقها وأنها لا تفنى فناء الجسد ﴿يا أيتها النفس

المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾.

وأن النفس البشرية بما تحمله من مكونات الفكر والعواطف والأحاسيس والإرادة والإدراك ودوافع السلوك الذى يحدد التعامل والعلاقة مع الآخرين، كل ذلك يجعل منها الشيء المنفرد الذى يميز كل إنسان عن الآخر والذى يعطيه إما الحياة الكريمة العزيزة الأبية أو يهوى به إلى الدرك الأسفل من السلم الأخلاقى والاجتماعى :﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره﴾.

ولما كان علم النفس الحديث هو العلم الذى يبحث فى سلوك الفرد وعلاقاته مع البيئة المحيطة به وخاصة البيئة الاجتماعية فإن ما هو أهم من هذه العلاقة الدنيوية الآدمية هو العلاقة الإلهية التى تحكم ارتباط الفرد بخالقه وهى فى حقيقة الأمر الأساس فى كل شيء فلا صلاح لعلاقة بين الإنسان وآخر إلا إذا حكمت هذه العلاقة قوانين السماء وتشريعات الإسلام ولا سلام بين بنى البشر إلا ما ينبع من سلام وأمان داخلى فى علاقة كل فرد مع الله سبحانه وتعالى من خلال تأصيل الإيمان وتغلغله فى أعماقه.

وكثير من الأحاديث الشـريفة قد وضعت دستورا لاستقامة النفس وسلامتها وفى نفس الوقت فهى تعكس الكثير من المفاهيم والنظريات النفسية، ومن هذه الأحاديث ما قاله أبو هريرة رضى الله عنه على لسان رسول الله ﷺ «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه».

أولا «الإمام العادل» وذلك يعنى الحكم بالعدل كلما كان الإنسان فى موضع الحاكم أو الرئيس أو المسئول ايا كان هذا الموقع. والحكم بالعدل معناه صواب الفكر وعمق البصيرة والقدرة على تجنب التحيز الذاتى الذى يفسد الحكم ويؤدى إلى الظلم، ويعنى أيضا الفكر المنظم المنطقى السليم المنزه عن الهوى والغرض وكل ذلك هو من مواصفات الصحة النفسية من حيث منطق التفكير وسلامة العقل.

ثانيا : «شاب نشأ فى عبادة الله عز وجل» وهنا نشير إلى أهمية التنشئة المبكرة فى الحالة النفسية

والتكوين الشخصى للفرد فكلما كانت تنشئة الفرد صحيحة على مبادىء وأخلاقيات قويمة وإسلامية انعكس ذلك على سلوك الفرد وشخصيته مستقبلا وعلم النفس يؤكد فى هذا المجال أن ملامح الفرد النفسية تنبت فيه منذ نعومة أظافره وإن اللبنات الرئيسية أن ملامح الفرد النفسية يرجع أثرها من طريقة التنشئة الصحيحة خاصة إذا كانت متعلقة بكل إيجابيات وأخلاقيات الدين الإسلامى.

ثالثا : «رجل قلبه معلق بالمساجد» وهنا نشير إلى أهمية التمسك بالعقيدة والاهتمام بالجوانب الروحية للإنسان بدلا من طغيان المادة على تكوينه لأن امتزاج الجانب الروحى بالجانب المادى يعطى للحياة معنى ويخفف من شدة التوتر والقلق مع المعاناة التى يعيشها من جراء السعى واللهث وراء التيار المادى المدمر.

رابعا وخامسا : «رجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه» وذلك يعنى أن الأخوة فى الإسلام لا تفرقهم خصومة ولا يبعدهم اختلاف الرأى، لأن رباط الإسلام قوى متين يمنع أى عداء وخصام حتى ولو تضاربت الأفكار واختلفت

الأمزجـة والآراء، وهنا يتبين أهمـية الود والحب مع فتح فرص الحوار والنقاش والاختلاف السطحى فى وجـهات النظـر إلى جانب التـواصل الجـوهرى على حب الله وطاعته.

سادسـا : «رجل دعته امرأة ذات منصب وجـمال فقال إنى أخـاف الله» وهذا الجزء يبرز أهمـية ضبط النفس والتحكم فى الغـرائز وذلك من أسس الصحة النفـسيـة مالكا لإرادته مـطوعا لهـا حسب مـا يراه لصالحـه، لا يتبع اهواءه ولا ينساق وراء المـغريات والشهوات.

سابعا : «رجل ذكر الله خاليـا ففاضت عيناه» هنا تتـجلى حكمـة الخـوف من خالـق الكون سبـحـانه وتعالى وليس الخـوف من دون سواه وتظهر أهمـية حساب الـنفس والندم على اخطائها والتوبة والتـعهد أمـام الله بعـدم الرجوع لهـذا الخطأ، وهنا تـتحـرك المشـاعر والأحاسيـس ويرق القلب وتذرف الدموع خشـية الله بعد حـساب النفس حـتى تصبح صافـية خـاليـة من أى شـوائب تؤنـب الضـمـيـر وتؤلم الأحاسيس وتؤدى إلى الاضطراب النفسى.

الأخــــلاق
فى الإسلام

تسير الجريمة مع النمو الحضارى سيرا متوازيا، فكلما اتسع العمـران وزادت فنون الصناعة والانتاج زادت معـدلات الجريمـة وفنونها وأسـاليبهـا مهـما وضـعت القوانين ومـهمـا اشتـدت الرقابة ومـهمـا تطورت العلوم، ولا تقل ما لم ينشط الجانب الروحى والأخلاقى فى الإنسان وفى ربوع المـجتمع بدءا من قيادته.

هذا هو مـاأثبتـه أحدث الاحـصاءات والدراسـات الاجتمـاعية التى أجراها المـركز الأوربى للدراسات الاجتماعية والتربوية فى لندن، والواقع يشير إلى أن أخطر أنواع الجريمة أثرا على أخلاقـيات مجتمع هى تلك الجريمة المعلنة لأنها تنزع الحـياء من المعصية وتضعف الخوف من الاعتداء.

ومجـتمعنا ملىء بسلوكـيات مخالفـة للقانون أو الدين أو التقاليد، ومع ذلك فإنه من كثـرة ممارستها وبصـورة علنية أصـبحت وكـأنها تصـرفات عـادية

وطبيعية وغير مخالفة مثل عمليات الرشوة فى المصالح الحكومية التى تتم كالعمولة والإكرامية فى مقابل إنهاء أعمال ومصالح المواطنين، ومثل كل ما نسمعه من شتائم وسباب بألفاظ بذيئة يتبادلها الأطفال والكبار فيما بينهم وكأنها لا تعنى شيئا أو لا تخدش حياء، وينطبق ذلك أيضا على كل ما تعلنه وسائل الإعلام وتنشره من جرائم وحوادث بتفصيلات دقيقة جدا تشجع من لديه استعداد للجريمة على الاعتداء دون التفكير فى النتائج المترتبة عليه.

فيما يتعلق بالرشوة فإن المولى عز وجل قد حرمها فقال ﷺ «لعن الله الراشى والمرتشى والرائش» ، والمراد بالرائش الوسيط الذى يقوم بتوصيل الرشوة بين طرفيها والرشوة حرام لأنها أكل لأموال الناس بالباطل، فالمرتشى يأخذ ما لا يستحقه فيأكل حراما والراشى يأخذ برشوته ما لا يستحقه أيضا ويتوصل بها لغير حقه.

لكن ماذا يصنع الإنسان صاحب الحاجة إذا تعثر عليه الوصول لحقه المشروع الذى يحتاجه إلا بدفع

الرشوة لمن يملك ايصال حقه إليه وقضاء مصلحته، ماذا يفعل هذا الإنسان إذا كان الوضع كذلك وحياته لا تستغنى عن قضاء تلك المصالح ولا يستطيع قضاءها إلا بدفع رشوة، ولا يجد المسلم من يعينه على أخذ حقه من الحكام والمسئولين، فهو بين ضياع حقه أو دفع الرشوة حتى يصل إلى حقه، ماذا يصنع المسلم فى مثل هذا الوضع ؟

إذا طالبناه بعدم دفع الرشوة والصبر على ضياع حقه طالبناه بما يعجز عنه الإنسان، وإذا دفعها وقع فى المحظور وهو دفع الرشوة التى حرمها الله عز وجل، هذه مشكلة تحتاج إلى حل ولعل هناك من يقرأ ويجد حلا لها.

وأما بالنسبة للسباب والشتائم بالالفاظ الجارحة فهى من الكبائر، ففى الحديث الشريف «إن من الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه» فالإسلام إذن حرم على المسلم التلفظ بالسباب والشتائم وأمرنا بحفظ ألسنتنا عن هذا الصنيع، ولكن الجماهير العريضة

من المسلمين لا تعرف إسلامها ولا تسمع عنه إلا القليل فى وسائل الإعلام وفى دور العلم، فمن أين لهذه الفئة العريضة، أن تتأدب بقرآنها وبهدى نبيها عليه الصلاة والسلام، إن الطريق إلى ذلك إنما يكون بتكثيف الجرعة الدينية فى وسائل الإعلام وفى المدرسة والجامعة آنذاك نجد الجماهير العريضة تدخل المساجد فتزداد علما بنبيها وأدبا بإسلامها ورسولنا ﷺ يقول «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وفيما يتعلق بنشر التفاصيل الدقيقة للجرائم فى وسائل الإعلام فإن ذلك يساعد على نشر الجريمة وتعليمها للجاهلين وللكثيرين من المجرمين الذين إذا دققنا النظر فى جريمتهم وجدناهم قد تأثروا فى تنفيذها بمشهد سينمائى أو تليفزيونى أو بخبر قرأوه فى صحيفة وبالتالى لا يجوز نشر مثل هذه الحوادث بتلك التفاصيل الدقيقة.

القوة النفسية في الإســلام

إن قوة البنيان للكائن البشرى تعتمد على اجتماع بين قوة الجسد والنفس معا ، فالإصلاح لجسد قوى فى نفس ضعـيفة يطغى علـيها الوهن والعـجز وقلة الحيلة ، وعلى العكـس فإن قوة البدن تؤكـد صلابة الشـخصية وتحمى الفرد من عوامل المرض واختلال العقل : « العقل السليم فى الجسم السليم » .

والضعف النفـسى يعنى الاعتمـادية المطلقة على الغـير وعـدم القـدرة على اتخاذ الـقرار السـديد فى الوقت المناسب والسـلبيـة الشـديدة والعـجز أمـام المواقف الصعبة والفشل فى قدرة الدفاع عن النفس.

كذلك فـإن ضعف النفس يعكس الخـوف الداخلى والقلق على المـستـقبل وفـقدان الثـقة والإحـساس بالأمـان والطمأنينة ، وكـل هذه الصفـات المريضـة للشخصـية البشرية العليلة لا تمـثل الإنسان المؤمن الحق المتـوكل على الله سبحانه وتعـالى والمسلم له

أمـره وحكمه لأن صـاحبـها قـد يظن خطأ أن سيـر الحياة وتوزيع الأرزاق وتحديد المصير قد يكون فى أيدى القائمـين على أمره متناسـيا إرادة الله التى هى فـوق كل شىء وقدره المـؤكـد الذى يعلو كل شىء غير مؤمن بأنه هـو الحق الذى : ﴿ إذا أراد شيئا أن يقـول له كن فيكون ﴾ فـهـو الخالق القـادر الوهاب مانح الحيـاة ومانعها فى نفس الوقت سـبحانه جلت قدرته وحكمته وعظمته .

فـالخوف من المـرض ومن الضـعف ومن الفقـر ومن المـوت .. إلخ ، لا يصـدر إلا عن شـخـصـيـة ضعـيفة غيـر آمنة وغير مـستعـينة بالله وهى تحمل نفسا قلقـة تسيطر عليها كل أبعاد التمـزق والمعاناة وتجعلهـا تتخبط وسط صراعات الحـياة إلى أن تقع فى براثن المرض النفسى .

وفى الحـديث الشريف : « المـؤمن القـوى خيـر وأحب إلى الله من المـؤمن الضـعـيف » وهذا يؤكـد أهمية أن يكون الفرد قويا فى الحق مدافعا عن العدل وصامدا أمام المحن ، وأن يكون صاحب شخصية لا تخـشى فى الحق لومـة لائم ولا تدع للخـوف مكانة

فى جنبات نفسها وتعلم عن يقين بأن العزة لله جميعا.

والقوة النفسية المعنوية هى خير زاد وأكثر نفعا فى حياة الدنيا والآخرة من القوة المادية الحسية التى لا تفيد صاحبها إلا فى ظواهر الأمور والتى سرعان ما تجر نحو الفساد والهلاك .

وليست القوة النفسية بإعلان القدرة على البطش بالغير والافتراء فى التحكم فى مصائر الناس والعمل على إيذائهم فى أموالهم وأولادهم وإنما يجب أن تكون من منطلق الرحمة والرأفة وتقدير ضعف البشر والوقوف إلى جانب المحتاجين من الإخوة فى الإسلام : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ .

وتتمثل القوة النفسية فى « العفو عند المقدرة » فلا استغلال ولا ظلم ولا انتهاز لسلطان أو جاه فى إذلال لمن هم فى موقف الحاجة والضعف .

وقوة النفس فى جهاد الإغراء المادى وإصلاح حالها نحو السمو إلى عالم الإيمان والسعى وراء المثل والقيم العليا : ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾.

فهناك فرق كبيـر بين أن تعمل وتكدح فى الحياة معـتمدا على الله ومـراعيا تعـاليمـه وبين أن تتواكل وتتخاذل وتهرب من تحمل مسئولية الحياة والسعى وراء العمل والتقدم بدعـوى أن الله مقدر لما سيكون وإنه المسـير لكل الأمور فلا لزوم لأى سـعى أو كد أو كفاح .

إن المـرض النفـسى يتـحدد بعـدم قـدرتك على تحريك إرادتك وإخراج طـاقاتك لحيز التنفيـذ الفعلى وبعـدم قدرتك على العـمل والعطاء لجو المشـاركة الفعالة فى الأنشطة الاجـتماعية الهادفـة ذات القيمة الإنسانية العالية .

والصـحـة النفسـيـة هى الإحـساس بالـسعـادة والرضا النابع من النفس نتـيجة لأداء العمل المـفيد للغـير والمـسـاهمة الفـعـالة فى النشـاط الجمـاعى الهادف .

وكما يقـال فإن العمل عبادة وهو صحـة جسدية ونفسية أيضا لأنه وقاية من الاضطراب النفسى وقد يكون علاجـا أيضا فى كثـير من الأمراض النفسـية خاصة العمل الجماعى وسط الآخرين وبمشاركتهم .

وكثيرا مـا تحدث حالات الاكتئاب النفـسى نتيجة للإحساس برتابة الحيـاة والملل من الفراغ والوحدة وفـقدان لـمعنى الوجـود فى هذه الحـيـاة وكل ذلك يعكس ركـود الإرادة والتـواكـل الذى قـد يدفع إلى التدهور النفسى المستمر لدرجات مرضية شديدة .

وهناك اضطرابات عقلية يختل فـيها جهاز الإرادة الشـخـصية ويتوقف عن الـعمل مثل حالات الفـصام العقلى البسيط ويحدث أن تتبلد الأحاسيس وتتوقف المشاعر ويعيش المريض حالة من العزلة الاجتماعية والسلبـية المطلقـة التى تجعله أشـبه بالحى المـيت، وكل ذلك يؤخـذ بمـفـهـوم التـواكل هذا المـفـهـوم الخـاطىء الذى يبـرر المرض ويؤدى إلـى الجحـيم النفسى والعقلى .

ووظيـفـة العـلاج النـفـسى هى تحـريك الإرادة وإخراجها لحـيز التنفيذ وتبصرة المـريض بمقوماته وإيضاح جـوانب القوة فيه ومـساعدته على تشـغيل هذه الجوانب .

ووظيـفة العـلاج النفســى أيضا هى الاسـتعـانة بالتوكل وليس بالتواكل على الله .

التكافل النفسى في الإسلام

الإسلام هو دين المحبة والأخوة والسلام ودعوته هى المساواة والعدل وإذابة الفوارق بين الطبقات حتى يكون المسلمون جميعا سواسية كأسنان المشط ولا فرق بين عربى وعجمى إلا بتقوى الله عز وجل ومفهوم التكافل فى ديننا الحنيف له الكثير من الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حيث أن لكل مسلم حقا على أخيه فى الإسلام فالحفاظ على ماله وعرضه ومراعاة حقوق الدفاع عنه ودفع الخطر ومنع الأذى الذى قد يلحق به فى المال والأهل والولد ـ وقد أوصى رسولنا الكريم عليه الصلاة والتسليم بالجار حتى ظن أنه سيورثه.

وكل الأحاديث الشريفة والسنن النبوية تشير إلى أهمية المساعدة والتضحية والحماية بين أخوة الإسلام لتذوب الفوارق ويعم الحب وتسود روح

المودة لتـزيل معها كل وسـاوس الشيطان، والتكافل الاجتماعى يتجلى فى أروع صوره مع إخراج الزكاة كفرض من فروض الإسلام.

أمـا التكافل النفـسى فهـو الذى يضـمن حقـوق التـعاطـف والتلاحم الوجـدانى بين المـسلمـين فى السـراء والضـراء مع توافـر حـسن النيـة وشـرف القـصـد والعمل الـدائم على حـفظ الكرامة وسـتـر العيوب واصلاح فساد الأخلاق بما لا يؤذى المشاعر أو يجرح الحـياء، والتكافل النفـسى يحقق التـجاوب الجماعى نحو عمل الخيـر وخير العمل بما يعود على أمة الإسـلام بالازدهار والتقـدم ويعزز قـيمـة الفرد ويؤكد دوره فى خدمة الحق ليتبدد معه الباطل.

والتكافل النفـسى يلزم المسلم بأن يكون غـيورا على دينه وأن تتـسع الغـيرة لتـشـمل أخاه المـسلم فيعمل دائما على رفع الأذى عنه بالفعل والقول وهذه الصورة الشـاملة للتكافل هى التى تحفظ للمـسلمين قيـمتهم وتشـد من أزرهم وتجعلهم ينصـهرون فى بوتقة واحدة شعـارها الوحدة بالإيمان الصادق وفى اتجاه عبادة الواحد الصمد.

الإسلام والتكالب على الثروة

ما الذى جعل الطفيلية والوصولية تظهر فى مجتمعنا ؟ :

اتسم العصر الحديث بالتقدم التكنولوجى الهائل والتنافس الاقتصادى والرغبة فى الاقتناء وحب الظهور ، وواكب ذلك ضعف شديد فى القيم الإنسانية الرفيعة مثل الرحمة والخير والجمال .

كذلك تسلطت على البشر قيم طفيلية وصولية تدير ظهرها لكل ما هو نبيل وجميل .

ظاهرة التكالب الشره على الثروة ، أصبحت مع الأسف الشديد سمة بارزة فى بعض الناس مما جعل هناك غيبة كثيرة عن القيم الإنسانية فى الآونة الأخيرة .

فى الحقيقة هذه الظاهرة التى نراها الآن من تقدم تكنولوجى سريع يقابله فى الجهة الأخرى غياب

وهروب للكثير من القيم التى يعتز بها المجتمع وبخاصة المجتمع المسلم هذا الأمر له جذور عميقة.

أما جذوره العميقة فترجع إلى أننا من فترة طويلة أخذنا نغيب المنهج الإسلامى عن بلادنا ونحاول أن نجرى وراء الغرب ونتعلق بحضارته ونقلده فى كثير من مظاهر هذه الحضارة وأشكالها وفى الوقت نفسه تخلينا عن كثير من القيم التى عرف بها مجتمعنا المسلم .

طبيعة العصر الآن انتشار التكنولوجيا وغيرها فى جوانب الحياة المختلفة وكلما جد الإنسان فى طلب هذه التكنولوجيات وما تقدمه للإنسان من وسائل رفاهية زادت متاعب ومشاكل الإنسان وتعقدت حياته أكثر وعادت على الإنسان بالضغوط النفسية والعصبية الكثيرة التى قد تؤثر فى تصرفاته .

ويجد ويجهد نفسه فى طلب هذه المخترعات والحاجيات وتكلفه مالا كثيرا ووقتا طويلا وتلقى بعبء كثير على الإنسان عصبيا وصحيا ونفسيا مما ينعكس فى مشاكل زوجية كالجرائم والطلاق كل هذا

نتيجة الحياة العصرية التى ما عادت ترحم وازدحمت بكل أصناف المخترعات التى إذا لم يجدها الإنسان فيضطر إلى الانحراف ويفقده الجمال الطاهر العفيف والمعانى القيمة السليمة العظيمة التى تشيع الخير والمودة والمحبة بين الناس .

من هنا انتشرت جرائم قتل الأزواج والسبب فى ذلك كثرة المشاكل والضغوط النفسية والعصبية التى تلقى بالحمل الثقيل على الإنسان من هنا نحتاج إلى ترسيخ القواعد الجمالية الدينية والعفة الدينية المطلقة السامية كالوفاء والمحبة والمودة والتراحم بين الناس والجمال والكمال الحقيقى هو ما طلبه الله من الإنسان وهذا يتوفر فى شرع الله ومنهجه حيث إنه جعل الزواج مثلا ترابطا اجتماعيا إنسانيا بين الناس يقوم على المودة والمحبة والأمانة بين الأزواج والزوجات فمطلوب منهم أن يروضوا أنفسهم على هذه المعانى الجميلة النبيلة التى طلبها الله من الإنسان المودة والرحمة والتعاون .

فإذا اتبعنا منهج الله فسنفوز فى الدنيا والآخرة أما إذا جرينا وراء الماديات والشهوات فسوف

نتحطم.. وأمامنا أمثلة للذين انجرفوا فى طلب الحياة الدنيوية وجمعوها من حلال وحرام والحرام هو الغالب كانت النتيجة أنهم فضحوا ونزعت البركة من أولادهم وأموالهم وصاروا فى مركز ذليل مهين وعادت عليهم هذه الأموال بالعار والدمار وسلط الله عليهم أنفسهم فالذى ينحرف ويجمع المال سهل كذلك عليه تعاطى المخدرات وسيقتدى به أولاده وأحب الناس ويكونون بؤرة فساد ودمار على هذا المجتمع .

التطور الطبيعى للحياة المعاصرة يشير إلى أن التطور التكنولوجى والحضارى فى اتجاه الميكنة للحياة ففرض نظام المادة والسعى والتكالب وراءها وأعطى شعارا بأن الحياة قائمة أساسا على الماديات وهذا كان على حساب المعنويات .

فإيقاع العصر ونظام التطور الحضارى التكنولوجى وميكنة الحياة هى فى الواقع التى أدت إلى مثل هذ التكالب المادى والتطاحن والتنافس من أجل المادة والشراهة فى السعى وراء الحصول على المكاسب المادية كل هذه المعايير الجديدة كانت على حساب الأصالة والخير والميول الجمالية والحب

والتضحية وكل المعانى والقيم المعنوية النبيلة .

وإذا كان هذا فرضا على الإنسان المعاصر ففى نفس الوقت له أضراره وسلبياته لأنه إذا لم يكن هناك توزان بين المعنويات والماديات فلابد من حدوث خلل مادى ونفسى فى تكوين الإنسان ، وماذا عن هذا التوازن ؟

ثم إن التوازن هو الذى يجعل الإنسان فى حالة من الصحة سواء الجسدية أو النفسية أو المادية والروحية ولكى يتحقق هذا التوازن لابد أن يعيد الإنسان المعاصر حساباته وتقييمه للأمور وكثيرا ما ينجرف الإنسان المعاصر وراء التيارات المادية دون حساب وتكون العواقب وخيمة والنتائج فى غاية من السوء والشر وقد يتصور إنسان المادة أنه حصل على كل شىء وحقق مكاسب فى كل شىء والحقيقة أنه فقد كل شىء وإنما الإنسان الذى يعمل على وجود هذا التوازن بصفة مستمرة بين الجوانب الروحية والمعنوية والجوانب المادية هو الإنسان الذى يكسب من كافة النواحى .

الأديان عامة جاءت لتهذيب النفوس وإرشاد

العـقل إلى مـا هو أصلح وأقـبلت النفـوس على حب الدنيا نظرا لشدة الغرائز التى تشدها إلى المادة .

فـالإسلام جـاء بالتـزهيد في الدنيـا بمـعنى أنك لا تحـبها حـبا يملـك عليك قلبك حتى تعـمى عن كل القيم والآداب ولكن خذ الآيات والأحاديث التى ترغب الإنسـان فى الدار الآخـرة والتزام القـيم الأدبيـة أو يعـيش الإنسان فـى هذه الدنيا فى مـرتبـة أعلى من مرتبة الحـيوان الصرف والنصوص فى ذلك كـثيرة ومنها مـا جاء فى قـول النبى ﷺ مامعـناه : « الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفـكم فيها فانظروا كيف تعملون » .

وجاءت أحاديث تقول : « من كانت الدنيا كل همه جعل الله فقره بين عينيـه وشتت عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا مـا قدر له ، ومن كانت الآخـرة كل همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليـه شمله وأتته الدنيا وهـى راغمة » .

كل هذه النصوص المراد منها الارتفـاع بمستوى الإنسان حتى لا ينحدر مع غـرائزه كالحيوانات هذه النصـوص مع التـربية العـملية كلها تـدريب وتهذيب

وتمرين للغـرائز أن تسير فى الخط المسـتقيم الذى يحقق السعادة فى الدنيا وفى الآخرة .

وعن السبب فى انحـراف الإنسان عن المســتوى الذى رســمه القـرآن والسنة ذكر أنه لم يفـهم الدين فهـما صحـيحا ومع عـدم فهمـه للدين لم يكن هناك تربيـة أو تدريب عملى على مـا يفهـمه الإنســان من الدين والتدريب العـملى يأتى أولا فى البيت ثم يأتى من القـدوة : المـدرس أو الرئيس أو الذين حـوله .. فهـذه العوامل كلها إن كـانت خيرة تساعـد الإنسان على السير فى طريق مسـتقيم وإن كانت هذه القدوة منحرفة سينحرف الإنسان تبعا لذلك ، فالخلاصة أن انكباب الناس على الدنيـا أو حب الدنيا هذا شىء فى طبيـعة الإنسان كإنسـان ولابد أن يكون هذا المعنى موجودا فى قلبه ولكن بقدر وهذا القدر هو أن يجعل هذه الحـيـاة سـعـيدة بعـيـدة عن النزول إلى درك الحـيوان حتي يـحقق الإنسـان خلافتـه فى الأرض ولذلك نرى فى كتب التصوف .. والأخـلاق مثلا أنها تذكّـر وتأتى بالنصوص القـوية التى تشد الإنـسان شـدا إلى مسـتوى المـلائكة وقـال الإمام الغـزالى :

«ليس المراد من هذه النصوص أن نقتلع الإنسان من مادياته لأنه لابد أن تكون فيه مادية ولابد أن تكون فيه غرائز ولكن نريد أن نهذب هذه الغرائز وننتشل الإنسان من وهدات المادية المغرقة الحيوانية وبين الروحانية مع الملائكة » .

هذه كلها نصوص تتلاقى مع بعضها كما قلت للالتزام بالخط الوسط كما يقول رب العزة : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ فالإسلام دين الوسط الذى يجمع بين الدنيا وبين الدين فى اعتدال ويوفق بين مطالب الروح والجسد الذى ينحاز إلى بدنه أو مادته انحيازا يجعله ينحرف عن الطريق المستقيم هذا أولا لم يفهم دينه فهما صحيحا ، ثانيا تربيته لم تكن تربية على المستوى الصحيح .

حول مفهوم الطب النفسى فى الإسلام

لقد كثر الجدل والنقاش حول موضوع الطب النفسى وعلاقته بالإسلام وكذلك حول منهج الإسلام فى التخفيف من الاضطرابات النفسية بشتى أنواعها وقد تعرض كثير من الزملاء العاملين فى مجال الطب النفسى أو فى مجال الاعلام أو الأدب لقضية دور الدين فى الصحة النفسية للإنسان فمنهم من أكد هذا الدور بشكل قاطع دون سواه ومنهم من جمع بينه وبين الأخذ بالأسباب والسير فى طريق العلم والتطبيب الكيميائى أو الكهربائى أو حتى بالعلاج النفسى التحليلى ، وفريق ثالث أراد أن يفصل بين الدين وبين اتباع المنهج العلمى البحت .

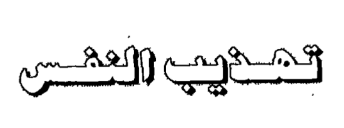
وفى كل هذه التيارات وخلال متاهات الآراء واتجاهات الفكر المختلفة كان ولابد من إيضاح

حقـائق بدهيـة قد تغـيب عن بعض الأذهان وهى أن الإســلام هو الدين الجـامع الشـامـل الذى يحكم كل سلوك البـشـر ويحدد كل وسـائل التطبـيق الفـعلى للعمل الإنسانى وذلك بإرادة الخالق سبحانه وتعالي، فـمن منا لا يتـوكل على الله فى كل عـمل يقـوم به ، ومن منا لا يراعى حـدود الله فى علاقاته وتعـاملاته مع الآخرين فى مـوقع عمله؟ فكلنا نعـمل من منطلق الدين وكلنا نسـير مـن منهج الإسلام ومن مـفهـوم الإيمـان وهذا يجرنـا إلى اعتـبـار أى عمل هو عـمل إســلامى أولا وقـبـل كل شىء وبذلك يكـون الطب النفسى ـ إسلاميا وغـيره ـ من العلوم الأخرى قائما على مـفـهـوم ومنطق الدين الإسـلامى ، ولكن ذلك لا يعنى أن وسـائل الأداء وطرق الـعـمل الـتى يتم تخطيطهـا علمـيـا أن تكون إسـلاميـة إلا إذا قـامت نظريات وفـروض تؤدى إلى نتائج جـديدة فى طرق البحث ومبنية على الملاحظة والاسـتقراء والتجريب والمـشـاهدة ثـم الاسـتنبـاط وبعـد ذلك الـتطبـيق والتعميم.

إن إثبات دور الإسـلام فى ممـارسة مـهنة الطب

النفسى لا يجوز أن يأتى إلا من خلال تأكيد هذا الدور بالمنهج العلمى وإعلان نتائجه القائمة على أسلوب التطبيق العلمى ذى النتائج التى تميزه وتفضله عن غيره من طرق وأساليب .

وعلى سبيل المثال لو خرج علماؤنا في مجال الطب النفسى الإسلامى بطريقة جديدة للعلاج النفسى تعتمد على كشف حقائق الدين أمام المريض ومناقشة دوافع المرض وطرق التفاعل مع هذا المريض ومع المحيطين به على أسس دينية مع تفسير كل هذه الظواهر بحجة من القرآن الكريم أو بمنطق الأحاديث الشريفة أو حتى بتعاليم وقيم الدين الإسلامى العامة ـ لو أن مثل هذه الطريقة العلاجية قد تم تأكيدها بنظريات واضحة وثبتت فاعليتها بأدلة علمية وبعد مدة طويلة من التجريب والملاحظة والتعديل ثم الإثبات بالبراهين ـ لو تم ذلك لخرجت لدينا نظريات إسلامية جديدة فى مجال علم النفس والطب النفسى وبذلك يمكن القول أن هذا هو الطب النفسى من مفهوم إسلامى ونعرف العالم أجمع أن لغة الدين يمكن أن تكون لغة العلم فى نفس الوقت وليست مجرد الدعوات والابتهالات والتواكل دون الأخذ بالأسباب .


تهذيب النفس

بالإرادة نقضى على التواكل والكسل

مقومات الشخصية المسلمة كلها إيجابيات وكلها جوانب قوة وأصالة ، وليس فيها من الضعف أو الاستكانة أو التخاذل أو الكسل شيء فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وهذا يعنى أن صفات القوة والاعتزاز بالنفس والثقة فى القدرات والاندفاع نحو مزيد من العمل والإنجاز والأخذ بأسباب الحياة .. هى كلها سمات النفس المؤمنة بالله عز وجل .

ولما كانت الشخصية هى مجموعة مقومات الفرد من طريقة التفكير والانفعال والسلوك والإرادة والإدراك وهى مجموعة فلسفات الفرد وعقائده ونزعاته وهى أسلوب حياته واهتماماته ، فإن المحرك الرئيسى لكل هذه الجوانب هو الإرادة .. والقدرة على التغيير والتحريك واتخاذ القرار واتباع المبدأ ، هذه هى الإرادة وهى بمثابة مفتاح التشغيل

لكل الجهاز النفسى للإنســان وهى قوة وفعالة بقوة صاحبها وفعاليته فلا ضعف مع الحياة ولا حياة مع الضعف من الناحية النفسية .

والإرادة هنا هــى التى تقـــضى على الـتــواكل والكسل والتقاعس والتبعـية وهى التى تفجر طاقات الإنســان وتشحـذ هممـه عندمـا يستلزم الأمـر ذلك والإنســان الذى يعـتـمـد على الله فى كل تحـركـاته وسكناته هو من يتـوكل عليه ويراعى كل مـا أمر الله به فى عمله وعـلاقاته وليس هو من يتواكل فـيجلس وينتظر إرادة الله وما هو مكتـوب له ، لأن ذلك معناه السلبية.

فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

إن تنمية الحس الجمالى وتربية الملكات الجمالية فى نفس البشرية هو من صميم الدين وواقع الحياة، لأن الجمال هو الأصل فى كل شىء حيث خلقت الحياة وبها مظاهرها الجمالية ورسمت الأرض والسماء على أروع ما تكون الصورة وحسن المنظر ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ وخلق الله سبحانه وتعالى الإنسان على أحسن ما تكون الصورة ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ .

والإسلام يحث على استشعار الجمال ومعايشته وعلى تهذيب النفس ورفاهية الحس ورقة التذوق وعذوبة الكلمات ، والجمال هو أحد أعمدة الفن الأساسية والفن هو حركة الحياة التى تدور حول كمال الشىء وجماله وإتقانه ليكون فى أروع صورة

وليمس بها شغف الناس فيلهب أحاسيسهم ويوقظ مشاعرهم ويحرك وجدانهم ومن هنا وهناك يدب فيه نشاط الحياة وتصحو نفوسهم على حب الخير وطرد الشر من أعماقهم .

إن الخشونة والغلاظة والقبح فى القول أو الفعل لا يعطى أى مظهر من مظاهر الجدية أو الوقار بقدر ما تجعل الفرد ينفر من نفسه قبل أن ينفر منه الآخرون : ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ ولكن الرقة واللين والوداعة والمرونة هى من الأساليب المتحضرة فى التعامل الإنسانى وهى مظهر من مظاهر الجمال الأخلاقى الذى يجذب الصديق ويلين قلب العدو.

والجمال نعمة من نعم الله فقد وصف سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز كثيرا من الصفات الحميدة بالجمال : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ وكذلك وصفه لنساء الجنة : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ وهكذا نجد أن مظاهر الحياة من حولنا كلها تشع بالجمال سواء كانت فى مادياتها أو فى معانيها

ومـعنوياتهـا ، وحـتـى الدواب وصـفت فى القـرآن بالجمال : ﴿ ولكم فـيها جمال حـين تريحون وحين تسرحون ﴾ .

فإذا كان الخـالق جلت قدرته قد رسم الكون على هذه الصورة الجـمالية وخلق الإنسان وبث فـيه من روحه وهو فى أروع ما يكـون وأحسن تقويم ، وإذا كان الفن والإبداع هو علم الإتقـان وإبراز الجمال فى كل شىء تتـعرض له الحواس الإدراكـية البـشرية ، فـمن هنـا يكون الفن هو أداة من أدوات التـأمل فى قـدرة الخالق وفى صـورة المـخلوق وهو ما يقـرب الإنسان من الله ويزيد من إيمانه بدقة وعظمة القدرة الإلهية .

والفنان الحق هو الذى يعـمق إيمانه مع كل عـمل جمـيل يزداد به الشـعور بهذه الـقدرة الإلهيـة وهو الذى يكرس جـهده ويجند مـوهبـته نحـو إبراز هذه الصورة الـجماليـة الإلهيـة لكى يضفى علـى نفوس الناس شـيـئـا من العـذوبـة والحـلاوة ويوصل فى أرواحهم كثيرا من الإيمان والتقوى .

جهــاد النفـس وتـحريك إرادتـها

إن جهاد النفس هو أسمى أنواع الجـهاد وهو قمة الصـمود أمـام وسـاوس الشيطـان وملذات الحيـاة الدنيوية التى تجر الإنسان نحو طريق الشر والسعى وراء المعاصى والبعد عن تعـاليم السماء وتشريعات الدين الإسلامى.

إن جهاد النفس لا يتأتى إلا من نفس واثقة قادرة صامـدة ، وأيضا نفس واعية بطريق النور حـريصة على البعـد عن طريق الظلام والشرور ، وهذه الثـقة والقدرة العالية للنفس المـجاهدة فى سبيل الله يكون مصـدرها الإرادة القوية والعزيمـة الصلبة وذلك هو إحدى مقومـات الشخصية المتمـاسكة الناضجة من الناحية النفسية .

إن الإرادة هى مـحور بناء الشـخصـية السـوية وهى الدينامو المحرك لكل جوانب النفس من تفكير واع منطقى سليم وسلوك معتدل وانفعالات وجدانية متزنة تعتمد على التفانى فى حب الله وحب الناس والسعى نحو الخير .

ويقـول أبـو الحـسن الشـاذلـى : « رأس النفس

إرادتهـا ، ويداها عملـها وعـقلهـا ورجلاها تدبيـرهـا واختـيارها ، فـإذا أردت جهاد الـنفس فاحكم عليـها بالعلم فى كل حـركة واسجنهـا فى قبـضة الله فيـما كنت، واشك عـجزك إلى الله كلـما غـفلت » فإذا كـان أبو الحـسن الشـاذلى يعـتـبـر أن الإرادة هى رأس النفس فذلك يفسر أهميتها ويلقى الضوء على قيمتها فى علاج الـنـفس وتطهيرهـا من كل ما يسىء إليـها ويحطمها ويبعدها عن طريق الصواب .

وإذا كـان جهـاد النفس بتـحـريك الإرادة هو من أسس الصحـة النفسيـة فإن ذلك يفسـر الوقاية من عـوامل الـقلق والخـوف وتـجنب أسـبـاب الحـزن والاكـتئـاب بما تحـققـه للفـرد من الرضا والقناعـة والطمـأنينة الداخليـة ومـا يشعـر الفـرد بالبـهجـة والسـماحـة والسرور بعـد أن أصبح مـالكا لإرادته مـتحكمـا فى غـرائزه ومـسيطرا عـليها فـيصـبح لا يخشى إلا الله ولا يسـعد إلا برضـاء الله ولا يبغى إلا وجه الله عز وجل .

والنظرة الإسـلاميـة لجـهاد النـفس تحدد أبعـاد المـسئـولية والاخـتيـار ، فعلى كل نفس بشـرية أن تختار بين الفضيلة والرذيلة وأن تتحـمل مسئوليتها فى مقاومة الفتنة والابتعاد عن الاندفاع وراء الشهوات

والمـيول البـراقة التى تدفـع بصاحـبهـا نحو الهـلاك والدمار فتحطم كيانه وتقضى على جوانب نفسه.

إن مسئـولية الاختيار تضع الإنـسان المسلم فى مـفتـرق الطريق دائمـا وأبدا وتجـعله فى حـالة من الحرص والوعى المستمـر والترقب الدائم إلى تقييم الأمور وحسـاب الحسابات حتى لا تظلم الـدنيا أمام عينيه وحتى لا تتواجد الغـشاوة على سمعه وبصره وبصـيـرته فيـتـخـبط فى الطريق ويتـجـه بسلوك عشوائى مـرتجل نحو الزلات وفى طريق الدمار إلى أن يصل فى طريق مـسدود، ونحو حـالة من انعدام الوزن فـيفـقد عند هذه النقطة كل مـقومـات نفسـه وتتدهور شخصيتـه ويتوه وراء الضياع والتمزق ثم يجىء المـرض النفسى العـضال الذى لا شفـاء منه والعـياذ بالله وعندئذ يندم على مـا فاته من الإيـمان العمـيق بالمسئوليـة السماوية على عـاتقه والتى لم يحسب حسابها ولم يضعها أمام عينيه منذ أن كانت أمـامه كل مـقـومات وأسـبـاب الحيـاة الإسـلاميـة الحقيقية، وصـدق الله سبحانه وتعالى : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غـشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ .

الوساوس القهرية.. وأسلوب العبادة

كثيرا ما ترتبط الحالات الوسواسية المتعلقة بأداء أفعال متكررة قهرية وخارجة عن إرادة الإنسان مع أدائه للفرائض مثل الصلاة أو ما يتعلق بها من وضوء أو ترتبط الأفكار الوسواسية المتشككة فى صحة قراءة القرآن أو التشكك فى العقيدة من أساسها .

والحالة الوسواسية القهرية هى مرض عصبى نفسى يصيب بعض الأفراد خاصة ذوى الشخصيات التى تتميز بحب النظام والدقة فى أداء العمل والضمير اليقظ وحب إتقان كل شىء والميل إلى الحياة التقليدية المتحفظة وصلابة الرأى والتردد فى اتخاذ القرارات مع قوة الاحتمال والمثابرة والإرادة القوية .

هذه الحالة المرضية والتى تسمى بالوسواس القهرية العصبية تكون منتشرة بنسبة عالية بين المرضى النفسيين العصبيين والتى تصل أحيانا إلى

١٨٪ وهى حالة عادة ما تكون مـزمنة وتحتاج لوقت طويل فى علاجـها وتظهر على هيئـة أفكار أو أفعال مـتكررة وتحـدث رغـمـا عـن أنف المـريض حـيث يقاومها ولكن بدون جـدوى ولا يمكنه التخلص منها وهى تلح فى رأسه بأفكار شاذة ليس لها أساس من الصـحـة أو تدفعه إلى فـعل معيـن متكرر لا لزوم له ولا فـائدة منه ولـكنه لا يمكنه التـخـلص من الدافع الداخلى القوى الذى يدفعه لتكرار مثل هذه الفكرة أو الفعل اللامعقول .

ومن المـلاحظ علمـيـا أن مـعظم الشـخصـيـات الوسواسية التى تصاب بمثل هذه الحالات تكون من النوع المتـزمت والمتحـمس للعقيـدة الدينية والذين يتمتعون بدرجة عاليـة من صـحوة الضمير والإيمان الشـديد بالخـالق عز وجـل والغيـرة الشـديدة على تعاليم الدين الحنيف .

وكـثـيـرا أيضـا مـا ترتبط أعـراض المـرض الوسـواسـية بالفـرائض وطريقـة أدائهـا أو الأفكار الدينية وطـريقة الاقتناع بهـا ، فإذا كـانت الأعراض المرضـية على هيئـة تكرار أفعال فـنجدها فى أغلب الأحيان مـتعلقة بالنظافـة الجسمية وخـاصة بتكرار

الوضـــوء فى بعض أجزائه أو بــالتشكك فى الصـــلاة السليمة أو إتمام عملــية الوضوء على الوجه الأكمل ، وإذا كانت متعلقــة بالأفكار الدينية فنجدها على شكل تشكك فى وجود ووجــدانية الخــالق عز وجل أو فى الأفكار الشـــريرة المتكررة بالخـــروج عن دين الله أو عبــادة التمــاثيل والسجـود لها أو تكرار أفكــار تأمر بفعل المعاصى والمنكر وتسبب هذه الأفكار الخاطئة والأفعال المتكررة ألما ومعاناة شديدة للمريض الذى لا يقتنع بها مطلقا ويقاومها باستمرار مع ازدياد فى التوتر والضيق والعصبية والقلق .

وكثــير مــن المرضــى يعــتقــدون خطأ أنهم بذلك يرتكبـون المعـصـية وينزل عـليهم غـضب الله وإن إيمــانهم بالخــالق أصـبح مشــكوكا فى أمــره حــيث يســتبـد بهم اليأس والــحزن لدرجــة الاقتناع التــام أحـيــانا بــأنهم وصلوا لدرجــة الخـــروج عن الدين الإسلامى ، والحـقيقــة غير ذلــك لأن هذه الحالة هى حالة مـرضية خــارجة عن إرادة وســيطرة المريض وأى مرض أو أذى يصيب الإنسان فهو من عند الله : ﴿ قل لن يصــيبنا إلا مــا كتب الله لنا ﴾ وأيضــا فإن الشــفـــاء يأتى بإرادة الله : ﴿ وإذا مــرضت فـــهـو

يشفين﴾ لذلك فالسعى وراء العلاج مع الاقتناع التام بأن هذا المرض مثله كمثل أى إصابة عضوية تحدث فى جسم الإنسان .. كأمراض القلب أو المعدة أو الكليتين مثل هام وضرورى ويجب ألا يسمح المريض لنفسه باليأس والحزن والاستسلام بل يسعى لتلقى العلاج والنصيحة من الطبيب المتخصص والذى غالبا ما يكون بالعقاقير والجلسات النفسية وأحيانا الصدمات الكهربائية والتى تمتد فترة العلاج إلى شهور طويلة حتى يتماثل المريض للشفاء الذى هو أيضا بإرادة الله الذى وسع برحمته كل شىء .

العبــادة ..
والعلاج النفسى

إن جلسات العلاج النفسى تعتمد على إقامة علاقة ارتبـاط فـكرى ووجـدانى بين الـطبـيب المـعـالج والمريض الذى يشكو آلاما نفـسية من ضيق وتوتر وخوف .. ووهم وحزن وقنوط وشك ... إلخ .

هذه العلاقة أساسها الصراحـة التامة فى التعبير عن كل ما يجـيش بصدر المريض والـتنفيس عن كل مكنونات عـقله البـاطن من دوافع كـامنة وغـرائز متحـركة وهواجس خاطئة ، وهى تعتـمد أيضا على مدى قدرة الطبيب المعالـج فى احترام وتقدير لعجز وضعف المريض مع حسن الاستماع والتفهم الواعى لجوانب القصور عند المريض ومع القدرة على صبر الطبيب وتحمله كل مـا قد يجده سيئـا ضارا قبل أن يكون ذا قيمة أو نافعا .

إن العلاقـة العلاجيـة النفسيـة أساسهـا الصدق

والصراحة وسعة الأفق والتفهم والصبر وطول البال والتسامح وكتمان السر والحب الإنسانى العميق مع الإحساس بالمسئولية ذات القيم والمبنية على المبادىء والأخلاق .

وكل هذه الأسس الأخلاقية يمكنها أن تتحقق فى علاقة الإنسان بالخالق عز وجل ، وذلك من خلال الأداء المستمر والمتكامل للعبادة والقيام بالفرائض الدينية ، حيث أن التوبة والاستغفار أمام الله هى نوع من إخراج عيوب النفس الداخلية والإعلان عنها وهى نوع من العهد بين الإنسان وربه على عدم تكرار الفعل أو العودة إلى ما يغضب الله ، وهذا كله يضفى على نفس المؤمن نوعا من التخلص من تراكم الذنوب والإثم والعصيان والذى بدوره يحقق الطهارة والنقاء النفسي وبذلك تتحقق الطمأنينة والسكينة الداخلية ويشعر الفرد المؤمن بالهدوء والأمان ويذهب عنه الخوف والحزن والقلق .

وقد يجد المريض النفسى بعض الحرج فى الشكوى أمام الطبيب أو فى إخراج مشاعره والإفصاح عن خبايا نفسه إما خجلا أو خوفا من

إفشاء السر ، ولكن لا يجوز ذلك عندما يخلو الإنسان خلوة تعبدية مع خالق السموات والأرض .. العليم بكل شىء وليس هناك من شك فى أن الثقة بين العبد وربه هى أقوى وأشد من الثقة التى يمنحها أى إنسان لأخيه الإنسان حتى ولو كان طبيبه المعالج .

ويمكننى القول أن الإنسان السليم والمريض على حد سواء يمارس نوعا من أنواع العلاج والتنفيس العلاجى عن كل ما يتعلق بداخله وكل الشوائب المترسبة فى أعماقه مع كل فرض يؤديه لله الذى وسع برحمته كل شىء وهذا هو أحد الفوائد الكثيرة التى يستفيد بها كل فرد فى علاقته بربه وهو أحد أساليب العلاج الروحانى الأصيل الذى يخفف من متاعب وهموم النفس ويضفى عليها مزيدا من الطمأنينة والراحة : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾.

الحلم سيد الأخلاق

« الحلم سيد الأخـلاق » وهو حالة من التحكم فى انفعال الغضب ، لأن هذا الانفـعال قد يدفع الفرد إلى الخطأ عـلاوة على أنـه ضـار بالصـحـة النفـسيـة والجـسدية فـقـد يزاد الغضب عن الحـد المـعقـول ويؤدى إلى التـوتر النفـسى والـقلق والأرق والكآبة والوساوس وقـد يؤدى أيضا إلى اضطراب الـهضم وخفقـان القلب وضيق الصدر وصـعوبة التنفس ثم فى النهاية إلى أمراض جـسمانية مثل قرحـة المعدة أو القولـون العصبى أوأعـراض الذبحة الـصدرية أو ضغط الدم العصبى .. إلخ .

والغـضب هو حالة انفـعـالية مـؤقتـة كرد فـعل مباشر لموقف ما يتـعرض فيه الإنسان إلى الإساءة أو الخـسـارة أو الصراع أو الحـرمـان من شىء أو حـالة من الإحبـاط بسبـب عدم تحـقيق هدف كـان يسعى إليه ويريد تحقيقه .

والانفـعالات الوجـدانيـة للكائن البـشـرى عامـة ومتعددة منها الانفعـالات السارة ومنها غير السارة

والغضب من النوع الثانى ، وللغضب علاقة بدوافع الإنسان وهو يصاحب محاولة الفرد تلبية دوافعه أحيانا ، وفى أحيان أخرى قد يكون الغضب نفسه دافعا للوصول إلى هدف ، فالإنسان يتحرك لتحقيق دوافعه وإشباع حاجاته ورغباته إلا أنه قد لا يستطيع فعل ذلك دائما بالسهولة التى يتمناها فقد يعترض طريقه عائق وهنا يتحرك الغضب داخله ويوجهه للهجوم على العائق لإزالته من طريقه وبالتالى يتحقق الهدف ويتم إشباع الرغبة .

والتحلى بصفة الحكمة والحلم والتحكم فى انفعال الغضب معناه التحلى بالصبر، والصبر نصف الإيمان وهذه الصفة تعنى قوة الاحتمال وضبط النفس وتقوية الإرادة والصمود أمام المحن والشدائد وتجاوز صعاب وأزمات الحياة ، والصبر صفة إيجابية معناها تحريك الإرادة وتقوية العزيمة ومعناها الحركة فى الحياة والأخذ بالأسباب فى حل المشاكل وقهر الصعاب وهى صفة لا تعنى السلبية أو الإهمال أو الركود والاستسلام والانتظار لحين أن يأتى الفرج بلا جهد وسعى وتعب ومشقة حقيقة

أن الصبر مفتاح الفرج ولكن لا يأتى إلا مع بذل الجهد وطرق كل السبل للوصول إلى الهدف .

والصبر يستلزم ضبط النفس ويستلزم هدوء الأعصاب والتسامح والعفو عند المقدرة والإنسان المسلم هو الذى يتخذ من الحلم والعفو قوة تدفعه نحو علاقة سوية مع الآخرين والعفو نتيجة طبيعية للحلم ومن يعفو ويصلح فأجره على الله بشرط أن يكون العفو نابعا من نفس راضية قانعة مؤمنة بمفهوم وقيم العفو فى العلاقة بين الأخ المسلم وأخيه فى الدين ، وحالة الغضب الانفعالية تسبب إعلانا لثورة النفس وذلك نتيجة مؤثرات بيئية واجتماعية تفوق قدرة الفرد على الاحتمال والصمود أو نتيجة ضعف داخل الفرد نفسه مما يجعله سريع الانفعال والتأثر والاندفاع وذلك يرجع إلى عوامل عدم النضج وعدم الاتزان النفسى ، ومفتاح التحكم فى الانفعال بالغضب هو الإرادة القوية التى تجعل الفرد فى حالة من القوة النفسية نتيجة إحساسه بالسيطرة على اندفاعاته ونتيجة إحساسه بأنه يملك زمام أمره وأنه مالك لإرادته ..

والمسلم الحق هو الذى يستمد قوته من كبح جماح غضبه وهو الذى يهدأ أمام العواصف والصعاب ويتحلى بالحكمة والمنطق العقلانى السليم كلما احتدت واشتدت أمور الحياة .

والغضب من الشيطان والتحكم فيه واجب على المسلم ولكن هل للإنسان قوة السيطرة على كل درجات الغضب وهل يستطيع أن يعيش بلا حس ولا تأثر ولا انفعال ؟

فى حقيقة الأمر لا يمكن أن يحدث ذلك ولكن المطلوب هو التحكم فى الغضب المدمر الشديد والخبيث أما حالات الغضب الحميد البسيطة فهى صحية ومطلوبة وقد يكون لها فائدة فى التجاوب مع الآخرين وفى التفريغ عن شحنة الانفعال داخل النفس . وهنا يكون الغضب المعتدل الموجه توجيها صحيحا انفعالا صحيا وفطريا وضروريا للحياة لكى يكون لها طعم ومعنى بل يمكن أن نقول إن عجز الفرد عن إظهار غضبه فى مواقف تستلزم ذلك قد يكون ظاهرة مرضية أحيانا ، أما إذا تحول الغضب كانفعال من اعتداله الصحى الحميد إلى تطرقه

المرضى المقيت وتحوله إلى شحنات ناسفة وطاقة هائلة توجه إلى التخريب والتدمير وإلى الغيبة والنميمة وإذا تحول الشخص إلى إنسان غاضب دائما واتصف بالشخصية الغاضبة فهنا نقول إن الغضب كانفعال قد زاد على الحد السوى وقد تخطى الدرجة المعتدلة المطلوبة وأصبح له أضراره ومضاعفاته وعواقبه الوخيمة مما يهدد تكيف الفرد مع مجتمعه ، وتكون النتيجة بعد الناس عن صاحب الغضب الشديد وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » وهذا معناه أن القوة النفسية لا تأتى بإظهار الانفعال بقدر ما تأتى بالتحكم فيه وكبحه .

والقوة النفسية مصدرها الإرادة وهذه الإرادة هى مفتاح التشغيل لكل الوظائف النفسية الأخرى مثل الانفعال والعاطفة والسلوكيات والفكر والإدراك والنزعات .. إلخ والإرادة القوية هى التى توظف كل هذه الوظائف النفسية لخدمة وسلامة وصحة صاحبها .

نفس المسلم
بين يدى الله

المسلم هو من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وهو من يسلم وجهه للحق تبارك وتعالى يؤمن به حق الإيمان الذى يتحدد بمحاور أساسية :

المحور الأول : هو الطاعة لله خالقه وخالق الكون من حوله طاعة عمياء لاجدال فيها ولا لغو، وهنا تتأصل العبادة الحقيقية فى أداء أركان الإسلام الخمسة من صلاة وصوم وزكاة وحج للبيت والشهادتين مع العمل بمنهج القرآن الكريم كتاب الله وبسنة رسوله الأمين محمد بن عبد الله ﷺ .

المحور الثانى : الإيمان الحقيقى هو تفويض الله فى كل أمور المسلم الدينية والدنيوية وذلك يعنى التوكل على الله فعلى المسلم أن يسعى فى الأرض ويأخذ بالأسباب ويساير حركة الحياة بما فيها من تطورات ومتغيرات كل ذلك بإيجابية وعزيمة وقوة وإصرار على الكفاح والتقدم ودفع هذه الحركة للإمام نحو الأفضل والأنفع له ولغيره من إخوانه

المسلمين ، ومع كل هذا السعى يحيط المسلم عقله ووجدانه بتفويض كل أموره إلى الله وإرجاع كل حركته وتوجيهها نحو الله:

﴿ إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴾.

إن العمق النفسى لعلاقة المسلم بالله جل شأنه لا يحتاج إلى فلسفة وتعقيد ولا إلى سفسطة وتشديد فالأمر أبسط ما يكون وأقرب ما يمكن إلى عقل وقلب الإنسان العاقل الناضج فعندما يناقش المسلم نفسه ويقول هذا ربى وهذا من خلقنى وخلق كل شىء فى الوجود ، إذن فأنا ملك له وعلىَّ أن أجيب وأن أطيع ما أمرنى به ومع الطاعة وتنفيذ الأوامر أرجع كل شىء إليه ، وإليه أنيب وهنا يكون التفويض الذى يحمل فى مضمونه معنى التوكل عليه سبحانه وتعالى .

ومع مفهوم الطاعة يكون الالتزام وانضباط حركة الحياة بين السلم وبين نفسه أولا ، فلا رقيب ولا حسيب سوى ضميره والنية الخالصة لوجه الله :

« إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى ».

والضمير فى نفس الإنسان هو الذى يحمل معانى الخير ويطرد ويقاوم كل أنواع الشرور وهو الذى يمثل السلطة الشرعية فى تكوينه النفسى لمحاسبته

وضـبط نزعاتـه وأهوائه ومراجـعـة أخطائه وزلاته والمحافظة على سلوكيـاته فى حالة من الاعتدال فلا خـروج على الأخـلاق ولا معـصـية لمـا أمـر الله به ولا إحساس بالتمزق والتـشرد والضياع أو الخروج عن الأعراف والتقاليد السماوية ، ومع هذا الانضباط النفـسى فى حركة حـياة المـسلم بينه وبين نفـسه تنعكس الصـورة على انضـباط حـركـة الحيـاة مع مجـتمع المـسلمين من حـوله ثم مع المجـتمع الأعم والأشمـل وهو مجتـمع الإنسـانية كلهـا فتـستقـيم العلاقـات بشكل عام وينتـظم شكل الحيـاة بصورة سـوية معـتدلة ومع التـوكل على الله يأتى مـفهـوم التفويض وذلك مـعناه أن المسلم الذى يسعى ويعلم أنه يفعل الصواب تحت رقابة الضـمير وعلى أساس طاعة الله فعليه بعـد ذلك أن ينيب لله ويفوضه فى كل أموره عندما تشتد به أمور الحياة أو تواجهه مشاكل وصعاب خارجة عن إرادته وأقوى من قدرته ، وبهذا المفـهوم التـوكلى تستـريح نفس المسلم وتهـدأ فلا قلق ولا خوف أو حزن ولا حقد أو حسد ولا كراهية أو إحساس بفـشل ، ولكن على عكس كل ذلك يشعر المـسلم بالحـماية والأمـان تحت مظلة من بيـده كل شيء وهو على كل شيء قدير .

راحة النفس
فى حوار مع الله

إن مناجاة الحق تبارك وتعالى هى أرفع وأسمى درجات العلاج النفسى للمسلم الذى يؤمن عن يقين بقدره المكتوب ، ويستسلم لحكمته سبحانه وتعالى ويعلم أن كل شىء من عند الله وإن مشيئته فوق كل شىء فكلما اشتدت أمور الحياة وضاقت الدنيا فى اعين المسلم الحق فعليه أن يلجأ إلى خالقه يناجيه ويحتكم لأمره هذه المناجاة ليست حوارا من طرف واحد ولا هى حوار عقل وفكر فحسب، بل هى حوار قلب وعقل وروح ، هى نوع من الامتزاج والذوبان الخالص الكامل فى رحاب الله، هى استرخاء واستسلام فى أحضان الروحانية الطاهرة السامية ، وهى فى حقيقة الأمر أعظم وأغلى جلسة نفسية يتزود بها المسلم من تقوى الله وطاعة الله واللجوء إليه طلبا للرحمة والمغفرة والسكينة وإزاحة الهم والكرب وتصفية النفس من كل معاناة وألم .

هذه الجلسة النفسية الروحانية تعتمد على حوار متبادل بين العبد وربه ولها شروطها وضوابطها حيث تبدأ النية الخالصة لوجه الله والعزم الصادق على المكاشفة والمصارحة وعلى الطاعة والتوبة مع اليقين الكامل بأنه هو الرحيم الغفور الذى وسع برحمته كل شىء وهى تعتمد أيضا على الطهارة وصفاء السريرة وطرد الشر من النفس والسعى الجاد وراء الخير والجهاد القوى للنفس ومحاربة كل أذى والتمسك بكل القيم والمبادىء .

وبما أن جلسة الحوار مع الله فيها تبادل للحديث فكيف يتم ذلك دون أن يستعد المسلم لهذا اللقاء العظيم حيث لابد وأن يستظل بنور القرآن الكريم كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومع تلاوة المسلم للقرآن يكون قد سمع حديث الله فهو سبحانه وتعالى يحدثه ويوجهه ويرشده ويصحح مساره فى الحياة ويخفف من لوعته ويهدئ من نفسه .

وهنا يكون حوار الله للمسلم قد تحقق مع تلاوة القرآن وعلى المسلم أن يرد على الحوار ليس فقط

بالشكوى والدعـاء وإنما أيضـا بالصلاة التـى فيـها إقامـة وإحياء لـكل الفرائض الخمـسة فـفى الصلاة يوجه المسلم وجهه نحو الكعبة المشرفة وكأنه يحج إليها وفيها صـيام عن الطعام والشراب فلا يجوز أن يأكل المـسلم وهو يصلى وفيـها أيضـا زكاة بوقـته وشهادة أن لا إله إلا الله التى يكررها مع كل صلاة .

ومن هنا فإن صلاة المـسلم تمثل حواره إلى الله ومع الصلاة يـتلو القرآن وهذا رد للحـوار من جانب الله ، فـما أجـمل أن يعـيش المسلـم خمس جلسـات نفـسـيـة روحـانيـة فى اليـوم الواحـد على الأقل ، وتصديقا لذلـك نتذكر ما كان يفـعله رسولنا الكريم عندما تشتد به أزمات الحـياة وتضيق به أمور الدنيا حـيث كـان يأمـر بلالا رضى الله عنـه بأن يؤذن للصلاة لكى تنفرج الأزمة وتهدأ حالته النفسية فكأنه عليه أفضل الصلاة والسلام يسعى إلى حوار متبادل مع الله لكى يتزود بطـاقة روحانيـة ونفسيـة تخفف عنه المعاناة وتدفعه للاستمرار فى الجهاد فى سبيل دعوة الحق ضد أهل الجهالة والكفر فى ذلك الوقت .

الصــــوم
دواء النفس

هناك الكثير من الاضطرابات النفسية التى يمكن أن يكون الصوم أحد جوانب العلاج لها خاصة فيما يتعلق بالاضطرابات السلوكية التى تعتمد فى علاجها على تعديل وتهذيب السلوك وعلى تصحيح الأخطاء التى أصبحت تشكل عادة سلوكية لا يستطيع المريض أن يتخلص منها مثل عادات الإدمان والتدخين وعادات الانحرافات الخلقية وعادات العصبية وانفلات الأعصاب وفقدان القدرة على السيطرة على النفس.. إلخ .

وقد يحتاج المريض بهذه الاضطرابات إلى العلاج الدوائى وإلى العلاج النفسى ، إلا أن تعديل السلوك وتصحيح المفاهيم عنده يحتاج قبل كل ذلك إلى تقوية الإرادة وقوة التحكم الذاتى وتنظيم إيقاع الحياة وضبط الأعصاب والتدريب على التفكير السليم وعلى اتخاذ القرارات الصائبة فى الوقت

المناسب لكل موقف، وكل هذه المستلزمات العلاجية تحتاج إلى الصبر والحكمة وضبط النفس والبعد عن مواطن الشر وذلك يتحقق بواسطة الصيام وأساليب العبادة فى شهر القرآن الكريم حيث تنظم أسلوب الحياة والانغماس فى تأدية الصلاة الجماعية وتلاوة القرآن ومعايشة السيرة النبوية وقصص الأنبياء وإخراج الزكاة بما فى ذلك من إحساس بالغير وتجنب الشر وأفعال الشيطان وكبت جماح الشهوة والغريزة المدمرة والإحساس الجميل بطهارة النفس مع جو من الروحانيات التى تسمو بالنفس إلى منزلة عالية .

وقد يتدرب الصائم على الإعلاء بغرائزه وتحويلها إلى المسار الصحى السليم والخروج بها من حيز المهانة والمذلة وقد يتدرب على المشاركة الجماعية فى أعمال الخير والفضيلة مما يجعله يشعر بقيمة الآخرين ويشعر بأخوتهم له فى الإسلام فيمتنع عن إلحاق الضرر والأذى بهم ، وقد يتدرب أيضا أن يجعل لحياته معنى ولكرامته وعزته قيمة ولنفسه كبرياء وشموخا وعلى أن يشعر بالآخرين

من حوله فتدب فى وجدانه مشاعر الإنسانية الرقيقة وأحاسيس الحب المرهفة الراقية ، ومع الصيام يتدرب المريض النفسى على التركيز والتفكير السديد الرشيد وتنظيم الوقت والإحساس بقيمته وعلى عادات الأكل الصحيحة والصحية المنتظمة والمفيدة وعلى النظافة والنظام ، ويتدرب أيضا على الغيرة على نفسه وعلى أسرته ومن يعول وعلى العفو عند المقدرة والصبر عند الشدائد والحب لكل شىء والإحساس بكل قيمة والسيطرة على كل شهوة والرفض لكل رذيلة والتسليم لكل شىء يقدره الله سبحانه جل شأنه وعظمت قدرته .

تفريغ الطاقة بالعبـــادة

يكبح الإنســان جمـاح طاقـاته الغريزية ويحـبس مشـاعره السيـئة ويكبت طاقـاته التى تتـبع الهوى والنزوات ، ومع صراعـه اليومى فى الحيـاة يحاول الإنســان أن يرشد هذه الطاقـات ويجـعلها تخـضع لإرادته وسيطرته وفى هذا كله يبذل الجـهد النفسى ويجـتـهـد بطاقـاته فى تـهـذيب وترويض نفـســه بحـسابات الضـميـر والسعى وراء الفـضيلة ، وقــد ينجح فى هذا السعى وقـد تخونه قواه وإرادته وهو بين هذا وذاك فى صــراع دائم مع نفـســه دون أن يشـعر ، وتفـريغ هذه الطاقـات قـد يأتى عن طريق الإعلاء بغرائزه والتسامى بنزواته وتحويل الشر إلى الخير والرذيلة إلى الفضيلة ، وقد يأتى التفريغ أيضا بالعبادة والتدريبات الروحانية عن طريق التقرب إلى الله سـبحـانه وتعالى ، لأن التـأمل فى الذات الإلهيـة والعمل بتعاليم الإسلام وممارسة الفرائض السماوية يسـتقـطع من الجهـد النفـسى ويسـتلهم من الطاقـة النفسية ويستمـد قوته من الشحنة الكامنة فى أعماق النفس حيث اللاشعور بمخزونه ومحتواه الكبير .

إن تفريغ الطاقة بواسطة العبادة معناه السمو بالغرائز وتطهير النفس من كل الشوائب والارتفاع بمستوى الأخلاق وتجاوز الأخطاء والسقطات الذاتية عن طريق ميكانيكيات التعويض والإنكار والتسامى ، وكل ذلك معناه الرقى بمستوى السلوكيات والارتفاع بدرجة الأخلاق .

إن العبادة الحقة الخالصة لوجه الله تذيب معها كل رذائل النفس وتذيب كل هموم الروح وتجعل الإنسان فى حالة من التواؤم مع نفسه ومع خالقه . ومع العبادة يمارس الفرد العلاج الروحانى الذاتى فيزيح عن نفسه الهموم ويتخلص من العيوب ويعالج النواقص ويتوب توبة نصوحا ويعاهد نفسه وخالقه على عدم الرجوع إلى عالم المعصية والرذيلة، وهو يجدد أيضا الشحنة النفسية الصافية برضا الله عليه ورضاه على نفسه ، وبعد هذه الجلسة التعبدية العلاجية الروحانية يعود الفرد وكأنه خلق من جديد على وعد وعهد صادق أمين بالنقاء والصفاء والطهر والعفة .

إن العبادة تزيل هموم النفس وتجدد النشاط الروحى فتدفع الفرد بمزيد من القوة نحو حياة أفضل فيها من الصحة والعافية ما يجعله فى مستوى إنسانى كريم ودرجة إيمانية عالية .

الإســـلام
دين العقل

كرم الله بنى آدم بالعقل فجعله يتميز بهذه النعمة عن سائـر مـخلوقـاته ، ولما كان الـعقل هو المـحور الذى يتحرك به الإنسان ويتحـدد به علاقته مع أخيه الإنسان وهو أيضـا المرجع الأول والأخير للتـفريق بين الغث والسـمين والتمـييز بين الصـالح والطالح وبين الحق والباطل ، فلذلك كله فـقد كانت مسـئولية الإنسان المـسلم عظيمة نحو تـحكيم العقل والمنطق فى كل تحركـاته وسعيه فى كـافة مجالات الحـياة ، وقـد صدق قـوله عز وجل : ﴿ وكل إنســان ألزمناه طائره فى عنقه ﴾.

والعقل هو دستور كل إنسان والمرجع الذى يلجأ إليه فـى الحكم الموضـوعى على أى قضيـة يريد أن يتخذ فيها القرار الصائب الحكيم ، والعقل هو مصدر الفكر والحكمـة وكثيرا مـا يحتاج المـسلم إلى النظر فى أمور حياته بعـين الحكمة والصواب ، والعقل هو منبع كل جـــوانب وظائف النفس والبـــدن ، منه يتم

التحكم فى الغرائز والعواطف والانفعالات ومن خلاله تصدر أوامر تحريك السلوك الظاهر منه والباطن وكذلك فإن العقل هو مكان كبح جماح الغرائز والشهوات بواسطة الإرادة وقوة السيطرة على النفس .

وعندما يكون الفرد فى غيبة من عقله تصبح سلوكياته مهتزة مختلة وتصرفاته شاذة مندفعة وعلاقته بالآخرين مضطربة وشائكة ، يفقد بعدها كل تواصل مع من حوله ويعيش فى عزلة وغربة تنتهى به إلى مصير محتوم وهو المرض والتدهور التدريجى ليصبح مثل الحى الميت الذى لا حراك له ولا حول ولا قوة منه وعليه .

وقد أضاء الله عز وجل نور العقل وأوضح قيمته ونصح به كل مسلم لكى يتبع أوامره ويخضع لقوانينه ، ولما كان التفكير هو نتاج العقل الرئيسى فقد كان لزاما على كل مسلم أن يرشده ويدربه على الأخذ بالأسباب واتباع قوانين الحياة بشىء من الصدق والموضوعية والبعد عن الذاتية والخروج من حيِّز التفكير الأنانى الضيق الأفق ، هذا التفكير السوى هو الذى يعصم الإنسان المسلم من زلات

الهوى والانسياق وراء الأهواء والنزوات ، والتفكير السوى هو الحكمة ورأس الحكمة مخافة الله فكان لزاما على المسلم أن يؤمّن حياته بعيدا عن الشر نحو الخير عن طريق الخوف المستمر من معصية الله سعيا وراء طاعته وحبا فى رضاه وطمعا فى رحمته .

وحكمة العقل فى تحريك مسيرة الإنسان المسلم تجعله يتعايش مع حركة الحياة ويتفاعل معها بشىء من التكيف فيساير التطور ويسعى نحو المزيد من الرفاهية ويرفض الجمود والتصلب ويبتعد عن التطرف ويقترب من الوسطية والاعتدال ، وحكمة العقل تنير القلب وتفتح البصيرة نحو الخير والأمل والحب والعطاء عطاء الإنسان للإنسان وهنا يدفع العقل بحكمته نحو أسمى صور التكافل الاجتماعى ومواساة ومؤازرة الضعيف والمسكين والمحتاج .

وبالعقل تقوى الإرادة وهى مفتاح النجاح للوصول إلى الهدف وهذه الإرادة هى الأساس لكل عزم ونية صادقة وهى أداة التشغيل لكل وظائف وتفاعلات النفس وهى العامل الهام فى تحديد شخصية الإنسان المسلم فى علاقاته مع البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها .

وخلاصة القول أن تزكية النفس لا تأتى إلا من إعمال العقل وتحكيم المنطق وغلبة الفكر الصائب على كل ما سواه من غيبة فى الوعى أو خلل فى الإدراك أو عمى فى البصيرة أو اندفاع فى العاطفة أو انغماس فى الأهواء والنزوات .

رقم الإيداع ١٥١٣٣/ ٩٨

الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0789 -3







طبع بمطابع أخبار اليوم